مختصر تاريخ

سلاطين الدولة العثمانية

أسامة عبد الرحمن

الكتاب: مختصر تاريخ سلاطين الدولة العثمانية

تأليف: أسامة عبد الرحمن

الناشر: دار نوبل للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: 2017م



رقم الإيداع: 2017/13921

الترقيم الدولي: 978-977-5648-43-3

الهيئة العامة للكتاب

الفهرسة أثناء النشر

عبد الرحمن، أسامة

مختصر تاريخ سلاطين الدولة العثمانية ، أسامة عبد الرحمن، الجيزة: دار نوبل للنشر والتوزيع، 2017.

العنوان : 956.1 144 ص؛ 24سم.

تدمك 978-977-5648-43-3

1- دراسات

2- العنوان.

ديوي 956.1

المقدمة

الدولة العثمانية دولة كبيرة دامت من عام **1299** الى عام **1924**اى ما يقارب سبعة قرون أسسها رجال عظام أخذت القوة والشجاعة منهم مأخذها فخفلوا لنا تراثا عظيما ملئت صفحاته بالعظمة والفتوحات التى أوصلت الرسالة إلى أصقاع كثيرة ما كانت تدرى عن الإسلام شيئا وما اعظم سلاطينهم الأول إذ كانوا يوصون أبناءهم بضرورة مواصلة الفتوحات الإسلامية .

فكانت ديدن العظماء منهم وبالإسلام ومن خلاله أرسى بعض سلاطين الدولة العثمانية دعائم الخلافة بعد انهيارها ولكن هذه المرة خلفاؤها ليسوا عربا بل اتراك اعتبارا من السلطان عثمان الذى تحمل الدولة اسمه الى زوال الخلافة نهائياً عام **1922** بعد ان تكاتفت عليها دول الكفر وصدق الله العظيم اذ يقول (ولا يزالون يقاتلونكن عن دينكم ان استطاعوا) والخلافة العثمانية تشم وأنت تقرأها رائحة العظمة والقوة اذا ما صدمت بعد قراءة انهيار الخلافات الإسلامية العربية ولقد ساعدت هذه الدولة فى كثير من الأحيان على وقف المد الكفرى من خلال القضاء على الدولة البيزنطية نهائيا بعد أن سيطرت على البقعة التى أصبحت فيما بعد العالم العربى قروناً طويلة كما فى أثنائها ارتقى كثير من العلوم وانتعشت حركة الترجمة والنقل عن علوم الغرب ما كان لها الفضل فى دخول كثير من الأمم الإسلام إذ أثناءها انتهى نهائيا ذكر المغول حيث انساحوا فى المسلمين ولم يعد لهم ذكر نهائيا .

وهى التى قضت على الدولة الصفوية الشيعية ولكن ليس بشكل نهائى إذ بقاياها إلى الآن حاملة مسؤلية نشر الفكر الشيوعى.

أسامة عبد الرحمن

الفصل الأول

دور النشأة

الدولة العثمانية (1299 – 1924)

اسمها الرسمي الدولة العلية العثمانية أو وِفق علماء السنة الخلافة العثمانية كانت إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى وجنوب شرق أوروبا، غربي آسيا وشمالي أفريقيا كان المقر الأول لها : ياني شهير: **1280–1366**، ثم إدرنة**1366–1453**، وأدرنة إحدى مدن تركيا وتقع في أقصى الجهة الغربية من القسم الواقع في أوروبا قريبا من حدود بلغاريا واليونان.

أسس الرومان مدينة أدرنة في القرن الثاني الميلادي وسقطت في يد العثمانيين في سنة **1362**م وصارت عاصمتهم من **1365** م إلى **1453** م والآن هي عاصمة المقاطعة التي تسمى أيضا باسم أدرنة وشهدت أدرنة والمناطق المجاورة لها ما لا يقل عن **15** معركة حاسمة عبر العصور من أبرزها معركتان هائلتان أولهما بين ليسيستوس وكونستنتان إمبراطور الرومان فهزم الأول شر هزيمة سنة **373** م أما المعركة الثانية فكانت سنة **387** م حيث هزم الإمبراطور فالان الروماني في حربه مع القوط ولقي حتفه.

استولى على مدينة أدرنة السلطان مراد الأول من اليونان سنة **1370**م وقد إحتلها الروس سنة **1829**م وعقدت فيما بينهم شروط الصلح التي قضت بتنازل الدولة لروسيا عن مصب نهر الدانوب واعترافها باستقلال اليونان وتبادل حكمها عدة دول من ضمنها روسيا مرتين في القرن التاسع عشر وبلغاريا في **1912**م.

أصولهم ونشأة الدولة

ينحدر العثمانيون من قبائل أوجوز التركمانية، مع موجة الغارات المغولية تحولوا عن مواطنهم في منغوليا إلى ناحية الغرب وأقاموا عام **1237**م إمارة حربية في بتيينيا شمال الأناضول، مقابل جزر القرم تمكنوا بعدها من إزاحة السلاجقة عن منطقة الأناضول في عهد السلطان عثمان الأول (عثمان بن أرطغل**1280-1300**م)، الذي حملت الأسرة اسمه، ثم خلفاءه من بعده، وتوسعت المملكة على حساب مملكة بيزنطة سنة **1354** م ووضع العثمانيون أقدامهم لأول مرة على أرض البلقان وكانت مدينة جاليبولي في تركيا قاعدتهم الأولى وشكل العثمانيون وحدات خاصة عرفت باسم الإنكشارية كان أكثر أعضاءها من منطقة البلقان تمكنوا بفضل هذه القوات الجديدة من التوسع سريعا في البلقان والأناضول معا إلا أنهم منوا بهزيمة أمام قوات تيمورلنك في أنقرة سنة **1402**م تلت هذه الهزيمة فترة اضطرابات وقلاقل سياسية ثم استعادت الدولة توازنها واستمرت سياسة التوسع في عهد مراد الثاني (**1421-1451** م) ثم محمد الفاتح (**1451-1481** م) الذي استطاع أن

يدخل القسطنطينية سنة 1453م وينهي بذلك قروناً من التواجد البيزنطي في المنطقة.

بداية ظهور آل عثمان

بعد وفاة أرطغرل قام السلطان علاء الدين السلجوقي بتنصيب الأمير عثمان مكانه، وعثمان بن أرطغرل ولد عام 656 هـ/1258م وتوفي عام 726هـ/ 1326م وهو من عشيرة قايي، من قبيلة الغز الأوغوز التركية هاجر جده سليمان شاه، أمير عشيرة قايي، مع عشيرته من موطنه الأصلي، في آسيا الوسطى، ليستقر في الأناضول فتابع طريق التوسع بشجاعة خارقة، فكافأه السلطان علاء الدين، وكرّمه بإعطائه شارات السلاجقة، ومنحه استقلالاً، ولقب بك، ابتداء من سنة 688 هـ/ 1289م، وسمح له بأن يسك النقود باسمه ، وبذكر اسمه بعد اسم السلطان علاء الدين من على منابر المساجد والجوامع السلجوقية، ومنحه السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الثالث جهات إسكي شهر وإينونو، عام 1289م وقرر منحه ما يفتحه من أرض البيزنطيين وغيرهم، حاصر عثمان مدينة بورصة، المعروفة في غرب الأناضول، عام1314م، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، وتوسعت منطقة نفوذ عثمان وإمارته، فشملت مناطق سوغود، ودومانيج، وإينه كول، ويني شهر، وإن حصار، وقويون حصار، وكوبري حصار، ويوند حصار وجعل في عام(1300م)، يني شهر مركزاً لتلك الإمارة.

خيانة قائد بيزنطي ونهاية دولة السلاجقة

نشأت صداقة بين عثمان الأول، والقائد البيزنطي كوسيه ميخائيل حاكم قلعة خرمن قايا الذي أسلم، وأنقذ عثمان من مؤامرة بيزنطية دُبرت له في وليمة عرس بيزنطي وكان دعاه اليها القائد كوسيه ميخائيل الذى صادقه وفي تلك الأثناء هاجم قازان المغولي المدن السورية، ومدينة قونية، فاحتلها سنة 699هـ/ 1299م، وأنهى دولة سلاجقة الأناضول ، ووفد على عثمان بن أرطغرل كثير من علماء الدولة السلجوقية هرباً من المغول، وأقبل عليه أمراؤها وأعيانها وأثرياؤها، فأثروا إمارته وانتقلت من مجرد قبيلة وإمارة إلى أن أصبحت لها مقومات الدولة وبهذا الحدث يمكن القول أن سلطنة آل عثمان بدأت بهؤلاء القادمين الهاربين من وجه المغول عام 708هـ / 1308م ، أى عندما توفي آخر سلاطين سلاجقة الروم السلطان غياث الدين مسعود الثالث، حيث كانت الإمارة العثمانية تابعة للدولة السلجوقية قبل ذلك.

الاستيلاء على بورصة

كان الهدف الأسمى، الذي يسعى الأمير عثمان لتحقيقه، هو احتلال مدينة بورصة واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية وظل هذا هدفاً يطمح إليه الأمير عثمان حتى آخر حياته ؛ فقد أمر وهو على فراش الموت، ولده أورخان بفرض الحصار عليها، والاستماتة في غزوها والاستيلاء عليها وقد نجح أورخان في ذلك، وطارت أنباء الاستيلاء إلى الأمير عثمان وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ونُقل جثمانه إلى مدينة بورصة ودفن فيها عام726هـ 1324م، بعد أن عاش سبعين

عاماً، قضى منها 27 عاماً على عرش السلطنة وكان لعثمان الأول من الأولاد سبعة، هم: أورخان بيك، وعلاء الدين بك، وجوبان بك، وحامد بك، وفاطمة خاتون، وبازارلي بك، وملك بك.

الحرب الإيطالية 1542–1546 توفي أورخان سنة 1359م فخلفه ابنه مراد الأول الذي هاجم شبه جزيرة البلقان وأستولى على أدرنة وقد قتل بعد أن تغلب على الصرب والبلغار في معركة معركة كوسوفو سنة 1389م.

تغلب بايزيد الأول على التحالف الأوروبي الصليبي في معركة نيقوبولس 1396 م وضم شرق صوفيا عاصمة بلغاريا.

فُتحت القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في الثلاثاء 29 مايو عام 1453 ،ويكتسب هذا الانتصار أهمية خاصة للمسلمين لورود فتح القسطنطينية في حديث نبوي يُبشر بذلك ،وبدخول العثمانيين القسطنطينية لينتهى الاستقلال السياسي للإمبراطورية البيزنطية التي عاشت أكثر من ألف عام.

التوسع فى العالم الإسلامي

أصبح العثمانيون القوة الرائدة في العالم الإسلامي وانتصر السلطان سليم الأول 1512–1520 م على الصفويين في معركة جالديران مما مكنه من السيطرة على العراق وأذربيجان عام 1514م، ثم بلاد الشام وفلسطين عام 1516م بمعركة مرج دابق، واستولى على مصر بعد معركة الريدانية عام

1517 م وبلغت الدولة أوجها في عهد ابنه سليمان القانوني1520–1566م الذي واصل غزو البلقان (المجر عام 1519م، ثم حصار فيينا)،وفي عام 1532م،استولى بعدها على الساحل الصومالي من البحر الأحمر واستطاع بناء أسطول بحري لبسط سيطرته على البحر المتوسط بمساعدة خير الدين برباروس الذي قدم ولاءه للسلطان وبعد 1552عام تم إعلان انضمام الدول الثلاث الجزائر وتونس وطرابلس إلى الدولة العثمانية وذلك بطلب من الجزائر التي كان لها حكم ذاتي في تصرفها عندما طلب خير الدين برباروس عام 1518 المساعدة من الأستانة عقب مقتل أخيه بابا عروج من طرف الأسبان الذين احتلوا مدينة وهران وبعدها شواطئ تلمسان ومستجانم وتنس ودلس وبجاية حيث أخضعت طرابلس في حدود عام 1551م فأصبحت الدولة تمتد على معظم ما يشكل اليوم الوطن العربي باستثناء وسط الجزيرة ومراكش وعُمان بالإضافة إلى امتدادها في وسط آسيا وجنوب شرق أوروبا.

التراجع

بعد سنة 1566 م أصبح الملك في أيدي سلاطين عاجزين أو غير مؤهلين للحكم ثم منذ 1656 م أصبحت السلطة بين أيدي كبير الوزراء الصدر الأعظم أو كبار القادة الإنكشاريين فبدأت مع هذه الفترة مرحلة الانحطاط السياسي والثقافي حيث كان العثمانيون في صراع دائم مع الهبسبورج، ملوك النمسا إلا أن مراكز القوى تغيرت بعد معركة فيينا، منذ 1700 م وتحول وضع العثمانيين من الهجوم إلى الدفاع وتم إعادة هيكلة الدولة في عهد

السلطانين سليم الثالث **1789–1807**م ثم محمود الثاني **1808–1839**م من بعده، ورغم هذا استمر وضع الدولة في الانحلال ثم أعلنت التنظيمات سنة **1839**م وهي إصلاحات على الطريقة الأوروبية وبعدها أنهى السلطان عبد الحميد الثاني**1876–1909** م هذه الإصلاحات بطريقة استبدادية، نتيجة لذلك استعدى السلطان عليه كل القوى الوطنية في تركيا وفى سنة **1922**م تم خلع آخر السلاطين محمد السادس العثماني **1918–1922**م وأخيرا ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة نهائيا في **1924** .

عوامل ضعف الدولة العثمانية

هناك بعض العوامل التى أدت إلى إضعاف الدولة العثمانية ومن هذه العوامل عوامل داخلية:

1- ضعف السلاطين المتأخرين ويتضح من:عدم قيادتهم للجيش – عدم ترأسهم جلسات الديوان – ضعف قدرتهم على الإدارة – انشغالهم بأمورهم الخاصة.
2- انحدار الإنكشارية: حيث (أهملوا تدريباتهم – قل ارتباطهم بثكناتهم مما أدى إلى ضعف قدراتهم القتالية والحربية) .
3- سوء نظام جباية الضرائب: فقد كان تحصيل وجمع الأموال العامة في الولايات يتم عن طريق الالتزام.

عوامل خارجية ومنها:

1- الامتيازات الأجنبية لبعض الدول الأوروبية التى أدت إلى التدخل في شؤون الدولة.
2- الأطماع الاستعمارية الأوروبية في ممتلكات الدولة العثمانية.
3- ظهور روسيا القيصرية كقوة تسعى على حساب الدولة العثمانية، وتحريض شعوب البلقان للثورة ضدها.
4- الهزائم التي ألحقتها الجيوش الأوروبية بالجيش العثماني بسبب اختراع الأوروبيين أسلحه جديدة واندماجها في الثورة الصناعية – تفوق أساليبهم القتالية وضعف الجيش الإنكشاري.

نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانية

1- السلطان: ومن مهامه تطبيق الشريعة الإسلامية- قيادة الجيوش- تعيين الوزراء وعزلهم.
2- الصدر الأعظم كان مستشار السلطان في بداية العهد العثماني ثم أصبح ممثل السلطان في فترة ضعف السلاطين، والتحكم بالتعيينات والوظائف والأمور المتعلقة بالجيش والإدارة.
3- الجيش وأدى الجيش العثماني دوراً مهماً في تأسيس الدولة وتوطيد أركانها.

نظام الحكم والإدارة العثمانية في الولايات العربية

عندما أتسعت الدولة العثمانية لجأ العثمانيون إلى تقسيمها ولايات وقسمت الولايات إلى أقسام إدارية صغيرة عرفت بالسنجق وقسمت بدورها إلى أقسام إدارية أصغر سميت بالناحية ويتشكل الجهاز الإداري للولايات العثمانية من عدد من كبار موظفي الدولة على النحو الأتي:

1- **الوالي**: كانت مهمة الوالي أن ينوب عن السلطان في الأمور الإدارية والعسكرية،وحفظ الأمن وجباية الضرائب وإرسال الأموال المفروضة على الولاية إلى خزينة الدولة وكان والي الشام متميزاً عن غيره من الولاة بإضافة منصب إمارة الحج إليه، وكانت مهمة أمير الحج الإشراف على قافلة الحج الشامي التي تضم حجاجاً من أنحاء بلاد الشام والأناضول والبلقان وتنطلق القافلة من دمشق مارةً بشرق الأردن إلى الحجاز.

2- **السنجق والناحية**: يتولى حكام السنجق والناحية تنفيذ أوامر الوالي والإدارة المركزية وتصريف الأمور الداخلية وحفظ أمن واستقرار الأوضاع فى مناطقهم.

3- **الدفتردار**: يعين من قبل السلطان مباشرة، ويتمثل دوره فى الشئون المالية في الولاية وهو بمثابة أمين الخزينة.

نقل العاصمة:

كانت يابي شهير 1280-1366م أول عاصمة للعثمانيين ، وفى سنة 1362م غزا مراد الأول مدينة أدرنة وجعلها عاصمته وبعد غزو مدينة فيلبة صارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين فاضطر إمبراطورها لدفع الجزية وكانت الأمبراطورية البيزنطية بمثابة خط أمامى يفصل بين أوروبا والقبائل التركية المسلمة ، فحاول الأمراء الأوربيون الاستنجاد بالبابا وبملوك أوروبا الغربية ضد المسلمين ولكن هاجمت الجيوش العثمانية أمير البلغار واحتلت بعض أجزاء من بلاده ففر إلى مدينة نيكوبولي فهزمه العثمانيون مرة أخرى وأثناء انشغال السلطان مراد الأول فى حروبه ،أصبحت القسطنطينية محاطة بالقبائل التركية وكان السلطان مراد الأول يهاجم بلغاريا ، فدقت أوروبا نواقيس الخطر كما دعا البابا أوربانوس الخامس جيوش أوروبا إلى الحرب ضد العثمانيين ، ولكن ملك الصرب لازار لم يتوقع الدعم السريع ولم ينتظر تجمع ملوك أوربا فجمع الأمراء المجاورين له وهم أمراء البوسنة والأفلاق (جنوب رومانيا)والهرسك وألبانيا، وملك المجر واتجهوا لانقاذ بلغاريا من العثمانيين ولكنهم اضطروا إلى القتال فى أدرنة بعد أن أدركه الجيش قبل وصوله إلى مبتغاه ودارت المعركة في سهول قوصوة، حيث فاجأهم جيوش العثمانيين فكانت من أشهر معارك التاريخ ، وكان صهر لازار خائناً وعلى اتصال بالقوات العثمانية فانقلب بفرقته المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل إلى جانب المسلمين فانهزم الصربيون ووقع ملكهم أسيراً فى أيدى المسلمين وهربت الجيوش الأوروبية بعد مصرع الملك لازار وغيره من الملوك والأمراء وبعد الانتصار كان السلطان يتفقد الجرحى في ساحة المعركة ، ونهض من بين الجرحى عسكري وطعن السلطان مراد الأوّل في أحشائه فقتل في 15 شعبان سنة 791هــ/ 1389م ، وقتل الجند العثمانيين القاتل الصربي مباشرة .

خاض السلطان مراد الأول شخصياً سبعاً وثلاثين معركة كبرى ، ووسع غزواته للإستيلاء على الدول الأوروبية حتى يوم قتله فبلغت مساحة أراض السلطنة في القارة الآسيوية والقارة الأوروبية نصف مليون كيلومتر مربع، 291 ألف كيلومتر في أوروبا الشرقية، و208 آلاف كيلومتر مربع في آسيا وذلك بعدما ثبت حدود السلطنة العثمانية على ضفاف نهر الطونة (الدانوب) شمالاً، وأوصى بالسلطنة إلى ولده يلدرم.

الفصل الثانى:

دور النمو

(1299– 1453)

وهذا الدور ضم كل من عثمان الأول – أورخان الأول – مراد الأول – بايزيد الأول (الصاعقة) – محمد الأول – مراد الثاني – محمد الثاني الفاتح .

عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه (656هـ/1258م – 1326م) مؤسس الدولة العثمانية وأول سلاطينها وإليه تنسب وشهدت سنة مولده غزو المغول بقيادة هولاكو لبغداد وسقوط الخلافة العباسية.

تولى الحكم عام 687 هـ بعد وفاة أبيه أرطغرل بتأييد من الأمير علاء الدين السلجوقي وقام الأمير السلجوقي بمنحه أي أراض يقوم بفتحها وسمح له بضرب العملة لما قتل الأمير علاء الدين من قبل المغول وقتلوا معه ابنه غياث الدين الذي تولى مكانه وقام بدعوة حكام الروم في آسيا الصغرى إلى الإسلام فإن أبوا فعليهم أن يدفعوا الجزية فإن أبوا فالحرب، فخافوا منه واستعانوا عليه بالمغول فأرسل إليهم جيشا بقيادة ابنه أورخان فهزمهم وأكمل الجيش مسيرته ففتح بورصة.

وتعاقب على إمارة السلطنة العثمانية قبل أن تعلن نفسها خلافة إسلامية سلاطين أقوياء، ويعتبر عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة وبانيها، فماذا صنع

عثمان ؟ لقد بدأ عثمان يوسع إمارته فتمكن من أن يضم إليه عام **688** قلعة قره حصا (القلعة السوداء) أو أفيون قره حصار، فسر الملك علاء الدين بهذا كثيراً فمنحه لقب بيك والأراضي التي يضمها إليه كافة، وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة.

وعام **699** أغار المغول على إمارة علاء الدين ففر من وجههم، ولجأ إلى إمبراطور بيزنطية، وتوفي هناك في العام نفسه، ويقال أن المغول قد تمكنوا من قتله ، وتوليه ابنه غياث الدين مكانه، ثم إن المغول قد قتلوا غياث الدين، ففسح المجال لعثمان إذ لم تعد هناك سلطة أعلى منه توجهه أو يرجع إليها في المهمات، فبدأ يتوسع،وإن عجز عن فتح أزميد (أزميت)،(نيقية) رغم محاصرتهما، واتخذ مدينة يني شهر أي المدينة الجديدة قاعدة له، ولقب نفسه باديشاه آل عثمان.

واتخذ راية له، وهي علم تركيا اليوم، ودعا أمراء الروم في آسيا الصغرى إلى الإسلام، فمن أبى عليه أن يدفع الجزية، فإن رفض فالحرب هي التي تحكم بينه وبينهم، فخشوا على أملاكهم منه، فاستعانوا بالمغول عليه، وطلبوا منهم أن ينجدوهم ضده، غير أن عثمان قد جهز جيش بإمرة ابنه أورخان الذي قارب الثلاثين من العمر، وسيره لقتال المغول فشتت شملهم ثم عاد واتجه إلى بورصة فاستطاع أن يدخلها عام **717** وتعد من الحصون الرومية المهمة في آسيا الصغرى، وأمن أهلها وأحسن إليهم فدفعوا له ثلاثين ألفاً من عملتهم الذهبية، وأسلم حاكمها أفرينوس، فمنحه عثمان لقب بيك، وأصبح من القادة العثمانيين البارزين وتوفي عثمان عام **726**،وقد عهد لابنه أورخان بالحكم بعده.

أهم الصفات القيادية في عثمان

1- الشجاعة عندما تنادى أمراء المسيحيين في بورصة ومادانوس وأدره نوس وكته وكستله البيزنطيون في عام 700هـ لتشكيل حلف صليبي لمحاربة عثمان واستجابت النصارى لهذا النداء وتحالفوا تقدم عثمان بجنوده وخاض الحروب بنفسه وشتت الجيوش الصليبية وظهرت منه شجاعة أصبحت مضرب المثل.

2- الحكمة : لقد رأى من الحكمة أن يقف مع السلطان علاء الدين ضد النصارى، وساعده في افتتاح جملة من مدن منيعة، وعدة قلاع حصينة، ولذلك نال رتبة الإمارة من السلطان السلجوقي علاء الدين.

3- الإخلاص : عندما لمس سكان الأرضي القريبة من إمارة عثمان إخلاصه للدين تحركوا لمساندته والوقوف معه لتوطيد دعائم دولة إسلامية تقف سداً منيعاً أمام الدولة المعادية للإسلام والمسلمين.

4- الصبر : وظهرت هذه الصفة في شخصيته عندما شرع في فتح الحصون والبلدان، ففتح في سنة 707هـ حصن كته، وحصن لفكة، وحصن آق حصار، وحصن قوج حصار وفي سنة 712هـ فتح كبوه وحصن يكيجه طرا قلوا، وحصن تكرر بيكاري وغيرها، وقد توج فتوحاته هذه بفتح مدينة بروسة في عام 717هـ، وذلك بعد حصار صعب وشديد دام عدة سنوات، كان من أصعب ما واجهه عثمان في فتوحاته.

5- الجاذبية الإيمانية : وتظهر هذه الصفة عندما احتك به اقرينوس قائد بروسه واعتنق الإسلام أعطاه السلطان عثمان لقب بك وأصبح من قادة الدولة العثمانية البارزين فيما بعد، وقد تأثر كثير من القادة البيزنطيين بشخصية عثمان ومنهجه الذي سار عليه حتى امتلأت صفوف العثمانيين منهم، بل إن كثيراً من الجماعات الإسلامية انخرطت تحت لواء الدولة العثمانية كجماعة جزياروم أي غزاة الروم، وهي جماعة إسلامية كانت ترابط على حدود الروم وتصد هجماتهم عن المسلمين منذ العصر العباسي، وجماعة الإخيان (أي الإخوان)وهم جماعة من أهل الخير يعينون المسلمين ويستضيفونهم ويصاحبون جيوشهم لخدمة الغزاة ويتولون إقامة المساجد والتكايا والفنادق، وجماعة (حاجيات روم) أي حجاج أرض الروم، وكانت جماعة على فقه بالإسلام ومعرفة دقيقة لتشريعاته، وكان هدفها معاونة المسلمين عموماً والمجاهدين خصوصاً وغير ذلك من الجماعات.

6- عدله : تروى معظم المراجع التركية التي أرخت للعثمانيين أن أرطغرل عهد لابنه عثمان مؤسس الدول العثمانية بولاية القضاء في مدينة قره جه حصار بعد الاستيلاء عليها من البيزنطيين عام 684هـ، وأن عثمان حكم لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي، فاستغرب البيزنطي وسأل عثمان : كيف تحكم لصالحي وأنا على غير دينك، فأجابه عثمان : بل كيف لا أحكم لصالحك، والله الذي نعبده، يقول لنا : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) فاهتدى الرجل وقومه إلى

الإسلام لقد استخدم عثمان العدل مع رعيته وفي البلاد التي فتحها، فلم يعامل القوم المغلوبين بظلم أو جور .

7- الوفاء : كان شديد الاهتمام بالوفاء بالعهود، فعندما اشترط أمير قلعة أولوباد البيزنطية حين استسلم للجيش العثماني، أن لا يمر من فوق الجسر أي عثماني مسلم إلى داخل القلعة التزم بذلك وكذلك من جاء بعده.

8- التجرد : فلم تكن أعماله وفتوحاته من أجل مصالح اقتصادية أو عسكرية أو غير ذلك، بل كان فرصة لتبليغ دعوة الله ونشر دينه ولذلك وصفه المؤرخ أحمد رفيق بأنه كان متديناً للغاية، وكان يعلم أن نشر الإسلام وتعميمه واجب مقدس وكان مالكاً لفكر سياسي واسع متين، ولم يؤسس عثمان دولته حباً في السلطة وإنما حباً في نشر الإسلام ويقول مصر أوغلو : لقد كان عثمان بن أرطغرل يؤمن إيماناً عميقاً بأن وظيفته الوحيدة في الحياة هي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وقد كان مندفعاً بكل حواسه وقواه نحو تحقيق هذا الهدف.

كانت شخصية عثمان متزنة وخلابة بسبب إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر، ولذلك لم تطغ قوته على عدالته، ولا سلطانه على رحمته، ولا غناه على تواضعه، وأصبح مستحقاً لتأييد الله وعونه، ولذلك أكرمه الله بالأخذ بأسباب التمكين والغلبة، فجعل له قدرة على التصرف في آسيا الصغرى من حيث التدبير والرأي وكثرة الجنود والهيبة ، لقد كانت رعاية الله له عظيمة ولذلك فتح له باب التوفيق وحقق ما تطلع إليه من أهداف وغاية سامية.

الدستور الذي سار عليه العثمانيون

كانت حياة الأمير عثمان جهاداً ودعوة في سبيل الله، وكان علماء الدين يحيطون بالأمير ويشرفون على التخطيط الإداري والتنفيذ الشرعي في الإمارة، ولقد حفظ لنا التاريخ وصية عثمان لابنه أورخان وهو على فراش الموت وكانت تلك الوصية فيها دلالة حضارية ومنهجية شرعية سارت عليها الدولة العثمانية فيما بعد، يقول عثمان في وصيته : (يا بني : إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً يا بني : أحط من أطاعك بالإعزاز، وأنعم على الجنود، ولا يغرك الشيطان بجندك وبمالك، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة يا بني : إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضات الله جل جلاله يا بنى : لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة الحكم أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا ونموت، وهذا يا ولدي ما أنت له أهل) .

وفي كتاب (التاريخ السياسي للدولة العلية العثمانية) تجد رواية أخرى للوصية (اعلم يا بني، أن نشر الإسلام، وهداية الناس إليه، وحماية أعراض المسلمين وأموالهم، أمانة في عنقك سيسألك الله عز وجل عنها).

وفي كتاب مأساة بني عثمان نجد عبارات أخرى من وصية عثمان لابنه أورخان تقول : (يا بني، أنني انتقل إلى جوار ربي، وأنا فخور بك بأنك ستكون عادلاً في الرعية، مجاهداً في سبيل الله، لنشر دين الإسلام يا بني، أوصيك بعلماء الأمة، أدم رعايتهم، وأكثر من تبجيلهم، وانزل على مشورتهم، فانهم لا يأمرون إلا بخير يا بني، إياك أن تفعل أمراً لا يرضى الله عز وجل، وإذا صعب عليك أمر

فاسأل علماء الشريعة، فانهم سيدلونك على الخير واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله، وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا).

لقد كانت هذه الوصية منهجاً سار عليه العثمانيون، فاهتموا بالعلم والمؤسسات العلمية ،والجيش والمؤسسات العسكرية، والعلماء واحترامهم، والجهاد الذي أوصل فتوحاً إلى أقصى مكان وصلت إليه راية جيش مسلم، وبالإمارة وبالحضارة ونستطيع أن نستخرج الدعائم والقواعد والأسس التي قامت الدولة العثمانية عليها من خلال تلك الوصية.

أورخان غازي

(680هـ/1288 م–761 هـ/1360 م)

خلف والده عثمان بن أرطغل عام 627 هـ/1324م وعمره ستة وثلاثون عاماً وقد اعتمد على أعوان أقوياء لوضع القوانين وسن الأنظمة أبرزهم أخوه الأمير علاء الدين الذي نصبه وزيراً له وكذلك علاء الدين بن الحاج كمال الدين وقرة خليل جاندارلي وفي عهده نقلت عاصمة الدولة العثمانية من أسكى شهر إلى بورصة كما تم سك أول نقد عثماني وتمكن من انتزاع أزمير وأنقرة وامتلك قره سي وبرغمة ثم حاصر سمندره وإيدوس واستولى عليهما وقد دامت فترة حكمه خمسة وثلاثين عاماً خلف سبعة أولاد هم : سليمان باشا وقد توفي في حياة أبيه، مراد بك، إبراهيم بك، فاطمة سلطان، خليل بك، سلطان بك وقاسم بك.

وأهم عمل قام به هو تأسيس جيش الإنكشارية الذي ساعد الدولة العثمانية في استمرار فتوحاتها لـ200عام كما حرص على تحقيق بشارة الرسول ص في فتح القسطنطينية ووضع خطة إستراتيجية تهدف إلى محاصرة العاصمة البيزنطية من الغرب والشرق في آن واحد ولتحقيق ذلك أرسل ابنه وولي عهده سليمان لعبور مضيق الدردنيل والاستيلاء على بعض المواقع في الناحية الغربية.

وفي عام 758هـ إجتاز سليمان مضيق الدردنيل ليلاً مع أربعين رجلاً من فرسان الإسلام ولما أدركوا الضفة الغربية استولوا على الزوارق الرومية

هناك وعادوا بها إلى الضفة الشرقية إذ لم يكن للعثمانين أسطول حينذاك حيث لا تزال دولتهم في بداية تأسيسها وفي الضفة الشرقية أمر سليمان جنوده أن يركبوا الزوارق حيث تنقلهم إلى الشاطئ الأوروبي ففتحوا قلعة ترنب وجاليبولي التي فيها قلعة جنا قلعة وأبسالا ورودستو وكلها تقع على مضيق الدردنيل من الجنوب إلى الشمال وبهذا خطى السلطان خطوة كبيرة استفاد بها من جاء بعده في فتح القسطنطينية.

سياسة أورخان الداخلية والخارجية

إهتم أورخان بتوطيد أركان الدولته وتولى الاصلاح والعمران ونظم شؤون الإدارة وقوى الجيش وبنى المساجد وأنشأ المعاهد العلمية وأشرف عليها خيرة العلماء والمعلمون وكانوا يحظون بقدر كبير من الاحترام في الدولة وكانت كل قرية بها كلياتها التي تعلم النحو والتراكيب اللغوية والمنطق والميتافزيقا وغيرها.

وقد أمضى أورخان بعد استيلائه على إمارة قرة سي من الروم وذلك سنة**1336**م عشرين سنة دون أن يقوم بأي حروب بل قضاها في صقل النظم المدنية والعسكرية التي أوجدتها الدولة وفي تعزيز الأمن الداخلي وبناء المساجد ورصد الأوقاف عليها وإقامة المنشآت العامة الشاسعة وما إن أتم أورخان البناء الداخلي حتى حدث صراع على الحكم داخل الدولة البيزنطية وطلب الإمبراطور كونتاكوزينوس مساعدة السلطان أورخان ضد خصمه فأرسل قوات من العثمانيين لتوطيد النفوذ العثماني في أوروبا وعام **1358**م أصاب زلزال

مدن تراقيا فانهارت أسوار جاليبولي وهجرها أهلها مما سهل على العثمانين دخولها وما لبثت جاليبولي أن أصبحت أول قاعدة عثمانية في أوروبا ومنها انطلقت الحملات الأولى التي توجت في النهاية بالاستيلاء على كامل جزيرة البلقان.

العوامل التي ساعدت السلطان أورخان في تحقيق أهدافه

– استفادة أورخان من جهود والده عثمان ووجود الإمكانات المادية والمعنوية التي ساعدت على فتح الأراضي البيزنطية في الأناضول.

– تميز العثمانيون في المواجهة الحربية التي تمت بينهم وبين الشعوب البلقانية بوحدة الصف ووحدة الهدف ووحدة المذهب الديني وهو المذهب السني ولقد سهل التفكك السياسي والإنحلال الدين والإجتماعي الذي أصاب الدولة البيزنطية ضم أقاليم هذه الدولة إلى العثمانيين.

– ضعف الجبهة المسيحية نتيجة لعدم الثقة بين السلطات الحاكمة في الدولة البيزنطية وبلغاريا وبلاد الصرب والمجر ولذلك تعذر في معظم الأحيان تنسيق الخطط السياسية والعسكرية للوقوف ضد العثمانيين.

– الخلاف الديني بين روما والقسطنطينية أي بين الكاثوليك والأرثوذوكس.

– ظهور النظام العسكري الجديد على أسس عقدية ومناهج تربوية وأهداف ربانية وأشرف عليه خيرة قادة العثمانيين.

السلطان مراد الأول

ولد السلطان مراد الأول عام 726 هـ - 1326م،وهو العام الذى تولى فيه والده الحكم وإليه يرجع الفضل فى النقلة النوعية من دويلة عثمانية قبلية إلى سلطنة قوية وتسمى بالسلطان عام 1383م أنشأ نظام الديوان للجند والفرسان السيباه وأنشأ مقاطعتين هما الروملي والأناضول وحاول أمير دولة القرمان في أنقرة أن يعد جيشاً مكوناً من جيوش الأمراء المستقلين في آسيا الصغرى لقتال العثمانيين لكنه فوجئ بجيش مراد الأول يحيط بمدينة أنقرة فاضطر لعقد صلح معه يتنازل فيه عن أنقرة.

استولى على مدينة فيلبة فصارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين واضطر إمبراطورها لدفع الجزية وحاول الأمراء الأوروبيون الاستنجاد بالبابا وملوك أوروبا الغربية ضد المسلمين فلبى البابا النداء وبعث لملوك أوروبا عامة يطالبهم بشن حملة صليبية جديدة ولكن ملك الصرب لم يتوقع الدعم السريع فاستنهض الأمراء المجاورين له وهم أمراء البوسنة وجنوب رومانيا واتجهوا نحو أدرنة أثناء انشغال السلطان مراد الأول ببعض حروبه في آسيا الصغرى غير أن جيش العثمانيين أسرع للقائهم وهزمهم هزيمة منكرة.

قام بتنظيم فرق الخيالة التي عرفت باسم سيباه ويقصد بها الفرسان كما احتلت في عهده مدينة صوفيا عام 784 هـ بعد حصار دام ثلاث سنوات واحتل مدينة سالونيك اليونانية وتمرد عليه ابنه ساوجى بالاتفاق مع ابن إمبراطور القسطنطينية فأرسل إلى ابنه جيشاً فقتله وقتل ابن الإمبراطور البيزنطي

أيضاً وحاول أمير البلغار الهجوم على الدولة أثناء انشغال السلطان في حروبه في الأناضول، ولكن الجيوش العثمانية داهمته واحتلت بعض أجزاء من بلاده ففر إلى مدينة نيقوبولي فهزمه العثمانيون مرة أخرى وتم في عهده غزو مدينة صوفيا عاصمة البلغار ومدينة سالونيك.

حاول لازار ملك الصرب الانضمام للألبانيين ومحاربة العثمانيين فأدركه الجيش قبل وصوله إلى مبتغاه في سهل كوسوفو وفي المعركة انحاز صهر لازار إلى جانب المسلمين بفرقته المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل فانهزم الصربيون ووقع ملكهم أسيرا بأيدى المسلمين، وهو جريح فقتلوه انتقاما لأفعاله الخسيسة بأسراه من المسلمين وفي نهاية المعركة كان السلطان مراد يتفقد القتلى فقام إليه جندي صربي جريح من بين القتلى وطعنه بخنجر فأرداه قتيلا وكان ذلك عام **791** هـــ الموافق **20** يونيو **1389**م وقتل الجندي العثماني الصربي القاتل مباشرة.

بايزيد الأول

1345 – 1403

حكم بين عام **1389**– **1402** وتولى العرش بعد مقتل أباه مراد الأول،ومباشرة قضى على أخيه يعقوب خنقا ليمنعه من القيام بانقلاب عليه لقب باسم يلدرم أى الصاعقة نظرًا لحركته السريعة بجيوشه وتنقله بين عدة جهات فى منتهى السرعة.

كان في غاية الشجاعة والحماس للجهاد في سبيل الله غير أنه امتاز عمن سبقوه بسرعة الحركة وقوة الانقضاض على أعدائه لذا لقب بالصاعقة أو يلدرم باللغة التركية، وكان مجرد ذكر اسم يلدرم يوقع الرعب في نفوس الأوروبين عموماً وأهل القسطنطينية خصوصاً.

كانت منطقة الأناضول أو آسيا الصغرى دائماً هي منطقة الانطلاق لاى سلطان جديد، لأن هذه المنطقة منقسمة على نفسها لعدة إمارات صغيرة يحكمها أمراء متغلبون على رقاب المسلمين فيها، وقد سعى السلطان مراد الأول لتوحيد الأناضول بعدة وسائل، ولم يكد ينجح في ذلك حتى انفرط العقد مرة أخرى، حيث ثار هؤلاء الأمراء على العثمانيين وسببوا لهم الكثير من المتاعب، وكانت ثوراتهم المتكررة سبباً لصرف جهود العثمانيين عن حرب أوروبا،مما جعل الأوروبيين يلتقطون أنفسهم ويشكلوا تحالفات صليبية متكررة لمحاربة العثمانيين، وفي سنة **793** ه استطاع بايزيد أن يضم إمارات منتشا،

آيدين وصاروخان دون قتال بناءاً على رغبة سكان هذه الإمارات، وقد لجأ حكام هذه الإمارات إلى إمارة اصفنديار، كما تنازل له أمير القرمان علاء الدين عن جزء من أملاكه بدلاً من ضياعها كلها، وقد أشتهر علاء الدين هذا بالغدر والخيانة وأخبار جرائمه أيام السلطان مراد الأول مشهورة، لذلك فلم يكن مستغرباً على هذا الرجل أن يثور مرة أخرى أيام بايزيد مستغلاً انشغاله بالجهاد في أوروبا حيث قام علاء الدين بالهجوم على الحاميات العثمانية وأسر كبار قادة العثمانيين واسترد بعض الأراضى، فعاد بايزيد بسرعته المعهودة وانقض كالصاعقة على علاء الدين وفرق شمله وضم إمارة القرمان كلها للدولة العثمانية وتبعتها إمارة سيواس وتوقات، ثم شق بايزيد طريقه إلى إمارة اصفنديار التي تحولت لملجأ للأمراء الفارين، وطلب بايزيد من أمير اصفنديار تسليم هؤلاء الثوار فأبى فانقض عليه بايزيد وضم بلاده إليه، والتجأ الأمير ومن معه إلى تيمورلنك.

وبعدما فرغ بايزيد من ترتيب الشأن الداخلى والقضاء على ثورات الأناضول، اتجه إلى ناحية أوروبا وبدأ أولى خطواته هناك بإقامة حلف ودي مع الصرب، وربما يستغرب القارئ من هذه المحالفة ذلك لأن الصرب كانوا من أشد الناس عداوة للمسلمين وحتى الآن كذلك، ولأنهم كانوا السبب في قيام تحالف بلقانى صليبى ضد المسلمين، بل إن السلطان مراد الأول والد بايزيد قتل في حربه ضدهم، وكل هذه الأسباب كافية لمنع التحالف معهم، ولكن بايزيد الصاعقة كان له وجهة نظر ذكية، وهي أن الحلف مع الصرب يجعلهم بمنزلة الحاجز القوى بين الدولة العثمانية وإمبراطورية المجر التي كانت وقتها أقوى الممالك الأوروبية وتلعب بحامية الصليب، وكانت علاقة المجر والصرب متوترة،

فاستغل بايزيد ذلك للتفرغ إلى الغرب والوسط الأوروبى وفتح القسطنطينية، وهذا من فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد الذى يحتاجه الحاكم المسلم على الدوام، ولا يفهم من هذا الفقه إباحة ما حرمه الله عز وجل أو الإخلال بعقيدة الولاء والبراء، إنما هو من جنس المعاهدات المؤقتة التي تخدم هدفاً معيناً لفترة معينة، أى أنها لا تبطل شريعة الجهاد في سبيل الله أبداً وهي تشبه جنس معاهدة الحديبية وغيرها.

عين بايزيد إصطفان بن لازار ملكًا على الصرب عام 792 هـ مقابل دفع جزية سنوية وتقديم عدد من المقاتلين ينضمون للجيوش العثمانية وقت الحرب تزوج أوليفير أخت أصطفان لكى لا يبقى مشغولاً بموضوع الصرب.

1- كان بايزيد يهدف من محالفته للصرب غاية هامة هي التفرغ للوسط الأوروبي والقسطنطينية لذلك فقد قام بتوجيه ضربة خاطفة إلى بلغاريا وفتحها سنة 797 هـ ، وأصبحت بلغاريا من وقتها إمارة تابعة للدولة العثمانية، مما جعل أوروبا ترتجف رعباً تحت الصاعقة الإسلامية التي فتحت البلاد الواحدة تلو الأخرى، وفرض بايزيد على إمبراطور بيزنطة مانويل عدة شروط منها : إنشاء محكمة إسلامية وتعيين قضاه مسلمين للفصل في شئون الرعية المسلمة بها.
2- بناء مسجد كبير بها والدعاء فيه للخليفة العباسي بمصر ثم السلطان بايزيد وذلك يوم الجمعة.
3- تخصيص 700 منزل داخل المدينة للجالية المسلمة بها.
4- زيادة الجزية المفروضة على الدولة البيزنطية.

معركة نيقوبولس

كان سقوط بلغاريا وقبول مانويل للشروط السابقة بمثابة جرس الإنذار القوى لكل الأوروبيين خاصة ملك المجر سيجسموند والبابا بونيفاس التاسع، فاتفق الرجلين على تكوين حلف صليبى جديد لمواجهة الصواعق العثمانية المرسلة، واجتهد سيجسموند في تضخيم حجم هذا الحلف وتدويله، باشتراك أكبر قدر ممكن من الجنسيات المختلفة، وبالفعل جاء الحلف ضخماً يضم مائة وعشرين ألف مقاتل من مختلف الجنسيات مثل: ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، إسكتلندا، سويسرا وإيطاليا، ويقود الحلف سيجسموند ملك المجر وتحركت الحملة الصليبية الجرارة سنة 800 هجرية، ولكن بوادر الوهن والفشل قد ظهرت على الحملة مبكراً، لأن سيجسموند قائد الحملة كان مغروراً أحمقاً لا يستمع لنصيحة أحد من باقى قواد الحملة، وحدث خلاف شديد على استراتيجيه القتال، فسيجسموند يؤثر الانتظار حتى تأتى القوات العثمانية، وباقى القواد يرون المبادرة بالهجوم، وبالفعل لم يستمعوا لرأى سيجسموند وانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا إلى مدينة نيكوبولس في شمال البلقان.

لم يكد الصليبيون يدخلون المدينة حتى ظهر بايزيد ومعه مائة ألف مقاتل كأنما الأرض قد انشقت عنهم، وكان ظهوره كفيلاً بإدخال الرعب والهول في قلوب الصليبيين فوقعت عليهم هزيمة مدوية حتى أن سيجسموند الذى وقف قبل المعركة يقول في تيه وغرور لو انقضت علينا السماء من عليائها لأمسكناها بحرابنا يهرب مثل الفأر المذعور ويلقى بنفسه في مركب صغير ويترك خلفه حملته الفاشلة تذوق ويلات هزيمة مروعة أسفرت معركة نيكوبولي عن نصر عظيم للمسلمين كان له أعظم الأثر في العالم الإسلامى بأسره، ووصلت بشارة

الفتح إلي كل مكان مسلم، وأرسل بايزيد إلى كبار حكام العالم الإسلامى يبشرهم بالفتح وبالعديد من أسرى النصارى كهدايا وسبايا لهؤلاء الحكام باعتبارهم دليلاً مادياً على روعة النصر، وأرسل بايزيد إلى الخليفة العباسى بالقاهرة يطلب منه الإقرار على لقب سلطان الروم الذى اتخذه بايزيد دليلاً على مواصلة الجهاد ضد أوروبا حتى يفتحها كلها، ووافق الخليفة على ذلك، وانساح كثير من المسلمين إلى بلاد الأناضول حيث الدولة العثمانية القوية المظفرة.

وانتقل إلى الأناضول عام **793** هـ، فضم إمارة منتشا وإمارة آيدين وإمارة صاروخان ودون قتال تنازل له أمير دولة القرمان عن جزء من أملاكه كى يبقى له الجزء الباقى كما فتح مدينة ألاشهر وهي آخر مدينة كانت باقية للروم في غرب بلاد الأناضول وحاصر القسطنطينية عام **794** هـ وتركها محاصرة واتجه بجيش إلى جنوب رومانيا وعقد معاهدة مع حاكمها تقضى بسيادة العثمانيين وبدفع جزية سنوية إلى السلطان ولكن تمرد عليه أمير دولة القرمان علاء الدين فواجهه وهزمه وأخذه وولديه أسرى.

محمد الأول

جلبي بن بايزيد هو السلطان الخامس للدولة العثمانية والملقب بالجلاد. خلف أباه في السلطنة بعد أسره بيد تيمورلنك في وقعة (أنقرة) ووفاته سنة **805** / هـ نازعه إخوته: سليمان وموسى وعيسى الملك وكل منهم يدعي التقدم عليه في السلطنة وتمكن من التغلب عليهم وقتلهم كانت مدة سلطنته

التي دامت 19 سنة حروباً داخلية لإرجاع الإمارات السلجوقية التي استقلت في مدة الفوضى التي أعقبت موت السلطان بايزيد الأول في الأسر، وكان السلطان بايزيد قد استولى عليها وألحقها بالدولة العثمانية وأنشأ أسطولا بحريا قويا انتقى بحارته من أهل جنوه وكريت، ونقل كرسي المملكة من بورصة إلى أدرنه وكان محباً للشعر والأدب، شهماً محباً للعدل وأطلق عليه رعاياه لقب جلبي أي النبيل.

انتصر على أمير القرمان وعفا عنه، فعاد لقتاله فأسره مرة أخرى ثم عفا عنه، وفعل ذلك مع أمير أزمير فكان رحيمًا معهما على عكس ما كان مع إخوانه ظهر الأمير مصطفى بن بايزيد أخو السلطان محمد والذى اختفى بعد معركة أنقرة وطالب أخاه بالحكم وسار عليه بجيش ولكن هزم ففر إلى سالونيك فطالب السلطان بتسليمه فأبى الإمبراطور ووعد بإبقائه تحت الإقامة الجبرية مادام السلطان على قيد الحياة فوافق السلطان وجعل لأخيه راتبًا شهريًا توفى عام 824هـ بعد أن أوصى لابنه مراد من بعده، وكان في أماسيا يوم وفاة أبيه وكتم خبر وفاة السلطان حتى وصل مراد لأدرنه بعد واحد وأربعين يوماً ودفن السلطان محمد جلبى في بورصة.

أنشأ أسطولاً بحرياً قوياً انتقى بحارته من أهل جنوه وكريت، ونقل كرسي المملكة من بورصة إلى أدرنه كان محباً للشعر والأدب، شهماً محباً للعدل وأطلق عليه رعاياه لقب جلبي أي النبيل.

انتصر على أمير القرمان وعفا عنه، فعاد لقتاله فأسره مرة أخرى ثم عفا عنه، وفعل ذلك مع أمير أزمير فكان رحيماً معهما على عكس ما كان مع إخوانه وظهر الأمير مصطفى بن بايزيد أخو السلطان محمد الذى اختفى بعد

معركة أنقرة وطالب أخاه بالحكم وسار عليه بجيش ولكن هزم ففر إلى سالونيك فطالب السلطان بتسليمه فأبى الإمبراطور ووعد بإبقائه تحت الإقامة الجبرية مادام السلطان على قيد الحياة فوافق السلطان وجعل لأخيه راتبًا شهريًا توفى عام **824**هـ بعد أن أوصى لابنه مراد من بعده، وكان في أماسيا يوم وفاة أبيه وكتم خبر وفاة السلطان حتى وصل مراد لأدرنه بعد واحد وأربعين يوماً ودفن السلطان محمد جلبى في بورصة.

مراد الثاني

ابن محمد جلبي سادس السلاطين العثمانيين، عاش بين عامي **1404**م – **1451**م، أحب العربية ويعد أول من تعلم ومارس فن الخط العربي من سلاطين العثمانيين، كما أنه كان ينظم الشعر ويتقنه ،تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام **824** هـ وكان عمره لايزيد على **18** عاما فترة حكمه تميزت بحروب طويلة الأمد مع مسيحيي البلقان والإمارات التركية في الأناضول.

السلطان الغازي محمد الثاني

الفاتح وبالتركية العثمانية: فاتح سلطان محمد خان ثاني عُرف في أوروبا خلال عصر النهضة أي ذات اللفظ الذي كان الأوربيون يلفظون به على اسم نبينا نبى الإسلام محمد ص، سابع سلاطين الدولة العثمانية وسلالة آل عثمان، يُلقب، إلى جانب الفاتح، بأبي الفتوح وأبو الخيرات، وبعد فتح القسطنطينية

أضيف لقب قيصر إلى ألقابه وألقاب باقي السلاطين الذين تلوه حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً عرفت توسعًا كبيراً للخلافة الإسلامية.

وهو من قضى نهائياً على الإمبراطورية البيزنطية بعد أن استمرّت أحد عشر قرنًا ونيفًا، ويعتبر الكثير من المؤرخين هذا الحدث خاتمة العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، وعند الأتراك فهذا الحدث هو فاتحة عصر الملوك وتابع السلطان محمد فتوحاته في آسيا، فوحّد ممالك الأناضول، وتوغّل في أوروبا حتى بلجراد ومن أبرز أعماله الإدارية دمجه للإدارات البيزنطية القديمة في جسم الدولة العثمانية المتوسعة آنذاك ويُلاحظ أن محمد الثاني لم يكن أول حاكم تركي للقسطنطينية، فقد كان أحد الأباطرة الروم السابقين، والمدعو ليون الرابع من أصول خزرية، وهؤلاء قوم من الترك شبه رحّل كانوا يقطنون سهول شمال القوقاز وكان محمد الثاني عالي الثقافة ومحباً للعلم والعلماء، وقد تكلّم عدداً من اللغات إلى جانب اللغة التركية، هي: الفرنسية، اللاتينية، اليونانية، الصربية، الفارسية، العربية، والعبرية.

إخبار النبي ص عنه

نؤمن كمسلمين بأن النبي محمد ص تحدث عن أمير من أفضل أمراء العالم، وأنه هو من سيفتح القسطنطينية ويُدخلها ضمن الدولة الإسلامية، فقد ورد في مسند أحمد بن حنبل في الحديث رقم **18189**: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، قَالَ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَعَافِرِيُّ، قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِشْرٍ

الْخَثْعَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ص يَقُولُ لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ.

وُلد محمد الثاني، للسلطان مراد الثاني فجر الأحد 20 أبريل، 1429 م، الموافق 26 رجب سنة 833 هـ في مدينة أدرنة، عاصمة الدولة العثمانية آنذاك وعندما بلغ محمد الثاني ربيعه الحادي عشر أرسله والده إلى أماسيا ليكون حاكماً عليها وليكتسب شيئًا من الخبرة اللازمة لحكم الدولة، كما كانت عادة الحكّام العثمانيين قبل ذلك العهد فمارس محمد الأعمال السلطانية في حياة أبيه، ومنذ تلك الفترة وهو يعايش صراع الدولة البيزنطية في الظروف المختلفة، كما كان على اطلاع تام بالمحاولات العثمانية السابقة لفتح القسطنطينية، بل ويعلم بما سبقها من محاولات متكررة في العصور الإسلامية المختلفة وخلال الفترة التي قضاها حاكماً على أماسيا، كان السلطان مراد الثاني قد أرسل إليه عددًا من المعلمين لكنه لم يمتثل لأمرهم، ولم يقرأ شيئاً، حتى أنه لم يختم القرآن الكريم، الأمر الذي كان يُعد ذا أهمية كبرى، فطلب السلطان المذكور، رجلاً له مهابةٌ وحدّة، فذكر له المولى أحمد بن إسماعيل الكوراني، فجعله معلماً لولده وأعطاه قضيبًا يضربه به إذا خالف أمره، فذهب إليه، ودخل عليه والقضيب بيده، فقال: أرسلني والدك للتعليم والضرب إذا خالفت أمري، فضحك السلطان محمد الثاني من ذلك الكلام، فضربه المولى الكوراني في ذلك المجلس ضربًا شديدًا، حتى خاف منه السلطان محمد، وختم القرآن في مدة يسيرة.

هذه التربية الإسلامية كان لها أكبر الأثر في تكوين شخصية محمد الفاتح، فجعلته مسلماً مؤمناً ملتزماً بحدود الشريعة، مقيدًا بالأوامر والنواهي، معظماً لها ومدافعاً عن إجراءات تطبيقها، فتأثر بالعلماء الربانيين، وبشكل خاص معلمه

المولى الكوراني وانتهج منهجهم وبرز دور الشيخ آق شمس الدين في تكوين شخصية محمد الفاتح وبث فيه منذ صغره أمرين هما: مضاعفة حركة الجهاد العثمانية، والإيحاء دوماً لمحمد منذ صغره بأنه الأمير المقصود بالحديث النبوي، لذلك كان الفاتح يطمع أن ينطبق عليه حديث النبي ص.

السلطان مراد الثاني

والد السلطان محمد الفاتح أبرم السلطان مراد الثاني معاهدة سلام مع إمارة قرمان بالأناضول، وعقب ذلك توفي أكبر أولاد السلطان واسمه علاء الدين، فحزن عليه والده حزنًا شديدًا وسئم الحياة، فتنازل عن الملك لابنه محمد ، وسافر إلى ولاية أيدين للإقامة بعيدًا عن هموم الدنيا وغمومها لكنه لم يمكث في خلوته بضعة أشهر حتى أتاه خبر غدر المجر وإغارتهم على بلاد البلغار غير مراعين شروط الهدنة اعتمادًا على تغرير الكاردينال سيزاريني، مندوب البابا، وإفهامه لملك المجر أن عدم رعاية الذمة والعهود مع المسلمين لا تُعد حنثًا ولا نقضًا.

وكان السلطان محمد الثاني قد كتب إلى والده يطلب منه العودة ليتربع على عرش السلطنة تحسبًا لوقوع معركة مع المجر، إلا أن مراد رفض هذا الطلب أثار هذا الرد غضب محمد الثاني فعاد وكتب إلى والده يقول: لو كنت أنت السلطان بحق، فارجع وسر بجيشك إلى المعركة وأن كنت تراني أنا السلطان، فإني آمرك بالمجيئ وقيادة جيشي في المعركة وبناءً على هذه الرسالة، عاد السلطان مراد الثاني وقاد الجيش العثماني في معركة فارنا، التي كان فيها

النصر الحاسم للمسلمين بتاريخ **10** نوفمبر سنة **1444** م، الموافق **28** رجب سنة **848** هـــ.

يُقال أن عودة السلطان مراد الثاني إلى الحكم كان سببها أيضاً الضغط الذي مارسه عليه الصدر الأعظم خليل باشا، الذي لم يكن مرتاحاً لحكم محمد الثاني، لأن الأخير كان متأثرًا بمعلمه المولى الكوراني ويتخذ منه قدوة، وكان الكوراني على خلاف مع الباشا وانتقل السلطان محمد الثاني إلى مانيسا الواقعة فى غرب الأناضول بعد ثورة الإنكشارية عليه، وبعد أن جمعهم والده وانتقل لخوض حروبه في أوروبا وليس هناك من معلومات كثيرة تفيد بالذي قام به السلطان محمد في الفترة التي قضاها في مدينة مانيسا، ولكن يُعرف أنه خلال هذه الفترة، تزوج السلطان بوالدة ولي العهد، كما كان يُطلق على زوجات السلاطين، أمينة جلبهار ذات الجذور اليونانية النبيلة، من قرية دوفيرا في طرابزون، التي توفيت بعد ذلك عام **1492** بعد أن أنجبت السلطان بايزيد الثاني وكان السلطان مراد الثاني قد عاد إلى عزلته مرة أخرى بعد أن انتصر على المجر واستخلص مدينة فارنا منهم، لكنه لم يلبث فيها هذه المرة أيضاً، لأن عساكر الإنكشارية ازدروا ملكهم الفتى محمد الثاني وعصوه ونهبوا مدينة أدرنة عاصمة الدولة، فرجع إليهم السلطان مراد الثاني في أوائل سنة **1445** وأخمد فتنتهم وخوفًا من رجوعهم إلى إقلاق راحة الدولة، أراد أن يشغلهم بالحرب، فأغار على بلاد اليونان والصرب طيلة سنواته الباقية، وفتح عدداً من المدن والإمارات وضمها إلى الدولة العثمانية وتزوج السلطان محمد في هذه الفترة أيضاً بزوجته الثانية ستّي مكرم خاتون الأميرة من سلالة ذي القدر التركمانية.

قام محمد الفاتح خلال المدة التي قضاها في مانيسا، بضرب النقود السلجوقية باسمه، وفي أغسطس أو سبتمبر من عام **1449**، توفيت والدته، وبعد هذا بسنة، أي في عام **1450**، أبرم والده صلحاً مع اسكندر بك، أحد أولاد جورج كستريو أمير ألبانيا الشمالية الذين كان السلطان مراد الثاني قد أخذهم رهائن وضمّ بلاد أبيهم إليه بعد موته وكان اسكندر المذكور قد أسلم، أو بالأحرى تظاهر بالإسلام لنوال ما يكنه صدره وأظهر الإخلاص للسلطان حتى قرّبه إليه، ثم انقلب عليه أثناء انشغاله بمحاربة الصرب والمجر، وبعد عدد من المعارك لم يستطع الجيش العثماني المنهك استرجاع أكثر من مدينتين ألبانيتين، فرأى السلطان مصالحة البك ريثما يعود ليستجمع جيشه قوته ثم يعود لفتح مدينة آق حصار.

اعتلاؤه العرش للمرة الثانية وفتح القسطنطينية

عاد السلطان مراد الثاني إلى أدرنة، عاصمة ممالكه ليُجهز جيوشاً جديدة كافية لقمع الثائر على الدولة، اسكندر بك، لكنه توفي يوم **7** فبراير سنة **1451**، الموافق **5** محرم سنة **855**هـــ وما أن وصلت أنباء وفاة السلطان إلى ابنه محمد الثاني، حتى ركب فوراً وعاد إلى أدرنة حيث توّج سلطاناً للمرة الثانية في **19** فبراير من نفس العام، وأقام جنازة لوالده الراحل وأمر بنقل الجثمان إلى مدينة بورصة لدفنه بها، ثمّ أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد، وبإرجاع الأميرة مارا الصربية إلى والدها، أمير الصرب المدعو جورج برنكوفيتش، الذي زوّجها للسلطان مراد الثاني عندما أبرم معه معاهدة سلام قرابة عام **1428**.

وعندما تولى محمد الثاني الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجًا عن سلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الروميّة وصارت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها وكان إقليم موره مجزءاً بين البنادقة وعدّة إمارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الإفرنج الذين تخلفوا عن إخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية، وبلاد الأرنؤد وإيبيروس في حمى إسكندر بك سالف الذكر، وبلاد البشناق المستقلة، والصرب التابعة للدولة العثمانية تبعية سيادية، وما بقي من شبه جزيرة البلقان كان داخلاً تحت سلطة الدولة كذلك.

أخذ السلطان محمد الثاني، بعد وفاة والده، يستعد لاتمام فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم أو صديق منافق، فبذل بداية الأمر جهودًا عظيمة في تقوية الجيش العثماني بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون جندي، وهذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول في تلك الفترة، كما عني عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم للغزو الكبير المنتظر، كما أعتنى الفاتح بإعدادهم إعدادًا معنويًا قويًا وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء النبي محمد ص على الجيش الذي يفتح القسطنطينية وعسى أن يكونوا هم الجيش المقصود بذلك، مما أعطاهم قوة معنوية وشجاعة منقطعة النظير، كما كان لانتشار العلماء بين الجنود أثر كبير في تقوية عزائمهم.

أراد السلطان، قبل أن يتعرض لفتح القسطنطينية أن يُحصّن مضيق البوسفور حتى لا يأتي لها مدد من مملكة طرابزون، وذلك بأن يُقيم قلعة على

شاطئ المضيق في أضيق نقطة من الجانب الأوروبي منه مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان بايزيد في البر الآسيوي ولّما بلغ إمبراطور الروم هذا الخبر أرسل إلى السلطان سفيرًا يعرض عليه دفع الجزية التي يُقررها، فرفض الفاتح طلبه وأصر على البناء لما يعلمه من أهمية عسكرية لهذا الموقع، حتى اكتملت قلعة عالية ومحصنة، وصل ارتفاعها إلى **82** مترًا، وأطلق عليها اسم قلعة روملي حصار، وأصبحت القلعتان متقابلتين، ولا يفصل بينهما سوى **660** متراً، تتحكمان في عبور السفن من شرقي البوسفور إلى غربه وتستطيع نيران مدافعهما منع أية سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من المناطق التي تقع شرقها مثل مملكة طرابزون وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة كما فرض السلطان رسوماً على كل سفينة تمر في مجال المدافع العثمانية المنصوبة في القلعة، وذات مرة رفضت إحدى سفن البندقية أن تتوقف بعد أن أعطى العثمانيون لها عدداً من الإشارات، فتمّ إغراقها بطلقة مدفعية واحدة فقط.

اعتنى السلطان عناية خاصة بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية ، ومن أهمها المدافع، التي أخذت اهتماماً خاصاً منه حيث أحضر مهندسًا مجريًا يدعى أوربان كان بارعاً في صناعة المدافع، فأحسن استقباله ووفر له جميع الإمكانيات المالية والمادية والبشرية فتمكن هذا المهندس من تصميم وتصنيع العديد من المدافع الضخمة كان على رأسها المدفع السلطاني المشهور، الذي ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه، وقد أشرف السلطان بنفسه على صناعة هذه المدافع وتجريبها.

ويُضاف إلى هذا الاستعداد ما بذله الفاتح من عناية خاصة بالأسطول العثماني؛ حيث عمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلاً للقيام

بدوره في الهجوم على القسطنطينية، تلك المدينة البحرية التي لا يكمل حصارها دون وجود قوة بحرية تقوم بهذه المهمة وقد ذُكر أن السفن التي أعدت لهذا الأمر بلغت أكثر من أربعمائة سفينة، بينما قال آخرون أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن عدد السفن كان أقل من ذلك، حيث بلغت مائة وثمانين سفينة في الواقع.

عمل الفاتح قبل هجومه على القسطنطينية على عقد معاهدات مع أعدائه المختلفين ليتفرغ لعدو واحد، فعقد معاهدة مع إمارة جلطة المجاورة للقسطنطينية من الشرق ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبي، كما عقد معاهدات مع جنوة والبندقية وهما من الإمارات الأوروبية المجاورة، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية، حيث وصلت قوات من تلك المدن وغيرها للمشاركة في الدفاع عن المدينة.

في هذه الأثناء التي كان السلطان يعد العدة فيها للفتح، استمات الإمبراطور البيزنطي في محاولاته لثنيه عن هدفه، بتقديم الأموال والهدايا المختلفة إليه، وبمحاولة رشوة بعض مستشاريه ليؤثروا على قراره، ولكن السلطان كان عازماً على تنفيذ مخططه ولم تثنه هذه الأمور عن هدفه، ولما رأى الإمبراطور البيزنطي شدة عزيمة السلطان على تنفيذ هدفه عمد إلى طلب المساعدات من مختلف الدول والمدن الأوروبية وعلى رأسها البابا زعيم المذهب الكاثوليكي، في الوقت الذي كانت فيه كنائس الدولة البيزنطية وعلى رأسها القسطنطينية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية وكان بينهما عداء شديد، وقد اضطر الإمبراطور لمجاملة البابا بأن يتقرب إليه ويظهر له استعداده للعمل على توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، في الوقت الذي لم يكن الأرثوذكس يرغبون في ذلك قام البابا بناءً على ذلك بإرسال مندوب منه إلى القسطنطينية، خطب في كنيسة آيا صوفيا

ودعا للبابا وأعلن توحيد الكنيستين، مما أغضب جمهور الأرثوذكس في المدينة، وجعلهم يقومون بحركة مضادة لهذا العمل الإمبراطوري الكاثوليكي المشترك، حتى قال بعض زعماء الأرثوذكس: إنني أفضل أن أشاهد في ديار البيزنط عمائم الترك على أن أشاهد القبعة اللاتينية.

سعى السلطان، بعد كل هذه الاستعدادات، لإيجاد سبب لفتح باب الحرب، ولم يلبث أن وجد هذا السبب بتعدي الجنود العثمانيين على بعض قرى الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم، فقتل البعض من الفريقين فعمل السلطان على تمهيد الطريق بين أدرنة والقسطنطينية لكي تكون صالحة لجر المدافع العملاقة خلالها إلى القسطنطينية، وقد تحركت المدافع من أدرنة إلى قرب القسطنطينية، في شهرين حيث تمت حمايتها بقسم من الجيش حتى وصلت الأجناد العثمانية يقودها الفاتح بنفسه إلى مشارف القسطنطينية يوم الخميس 6 أبريل، 1453 م، الموافق 26 ربيع الأول، 857 هـ، فجمع الجند وكانوا قرابة مائتين وخمسين ألفاً جندي أي ربع مليون، فخطب فيهم خطبة قوية حثهم فيها على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة، وذكّرهم فيها بالتضحية وصدق القتال عند اللقاء، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التي تحث على ذلك، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التي تبشر بفتح القسطنطينية وفضل الجيش الفاتح لها وأميره، وما في فتحها من عز للإسلام والمسلمين، وقد بادر الجيش بالتهليل والتكبير والدعاء.

وبهذا ضرب السلطان الحصار على المدينة بجنوده من ناحية البر، وبأسطوله من ناحية البحر، وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية مدفعية وضع بها المدافع الجسيمة التي صنعها أوربان والتي قيل أنها كانت تقذف كرات من الحجارة زنة

كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا إلى مسافة ميل، إلا أن المؤرخين المعاصرين يقولون ان هذا الرقم مبالغ فيه بوضوح، فإنه ولو وُجد في ذلك الزمان آلة تستطيع أن تقذف هذا الوزن الكبير، فإنه لا يوجد أناس قادرين على رفع هذا الوزن ليضعوه في المدفع، فالقنطار يساوي **250** كيلوجراما، فوزن القذيفة على هذا الاعتبار يكون **3000** كيلوجراما، وبالتالي فلعلّ المقصود كان **12** رطلا وليس قنطارا وفي أثناء الحصار اكتُشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد حين حاصر القسطنطينية في سنة **52** هـــ في خلافة معاوية بن أبي سفيان الأموي.

وفي هذا الوقت كان البيزنطيين قد قاموا بسد مداخل ميناء القسطنطينية بسلاسل حديدية غليظة حالت بين السفن العثمانية والوصول إلى القرن الذهبي، بل دمرت كل سفينة حاولت الدنو والاقتراب إلا أن الأسطول العثماني نجح على الرغم من ذلك في الاستيلاء على جزر الأمراء في بحر مرمرة واستنجد الإمبراطور قسطنطين، آخر ملوك الروم، بأوروبا، فلبّى طلبه أهالي جنوة وأرسلوا له إمدادات من خمس سفن يقودها القائد الجنوي جوستنياني يُرافقه سبعمائة مقاتل متطوع من دول أوروبية متعددة، فأتى هذا القائد بمراكبه وأراد الدخول إلى ميناء القسطنطينية، فاعترضته السفن العثمانية ونشبت بينهما معركة هائلة يوم **21** أبريل، **1453** م، الموافق يوم **11** ربيع الثاني، **857** هـــ، وانتهت بفوز جوستنياني ودخوله الميناء بعد أن رفع المحاصرون السلاسل الحديدية ثم أعادوها بعد مرور السفن الأوروبية كما كانت فحاولت القوات البحرية العثمانية تخطي السلاسل الضخمة التي تتحكم في مدخل القرن الذهبي والوصول بالسفن الإسلامية إليه، وأطلقوا سهامهم على السفن الأوروبية

والبيزنطية ولكنهم فشلوا في تحقيق مرادهم في البداية، فارتفعت بهذا الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة بعد هذا الأمر، أخذ السلطان يُفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برّاً وبحراً، فخطر بباله فكرة غريبة، وهي أن ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعها، وتمّ هذا الأمر الغريب بأن مهدت الأرض وسويت في ساعات قليلة وأتي بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاج السفن وجرها، وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من البيزنطيين.

استيقظ أهل المدينة صباح يوم 22 أبريل وفوجئوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي، ولم يعد هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين، ولقد عبّر أحد المؤرخين البيزنطيين عن عجبهم من هذا العمل فقال: ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الأسكندر الأكبر وأيقن المحاصرون عند هذا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم، لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا إقداماً وصمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى الموت وفي يوم 24 مايو سنة 1453م، الموافق 15 جمادى الأولى سنة 857هـ، أرسل السلطان محمد إلى الإمبراطور قسطنطين رسالة دعاه فيها إلى تسليم المدينة دون إراقة دماء، وعرض عليه تأمين خروجه وعائلته وأعوانه وكل من يرغب من سكان المدينة إلى حيث يشاؤون بأمان، وأن تحقن دماء الناس في المدينة ولا يتعرضوا لأي أذى وأعطاهم الخيار بالبقاء في المدينة أو الرحيل عنها، ولما وصلت الرسالة إلى

الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر، فمال بعضهم إلى التسليم وأصر آخرون على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت، فمال الامبراطور إلى رأي القائلين بالقتال حتى آخر لحظة، فرد الامبراطور رسول الفاتح برسالة قال فيها إنه يشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم وأنه يرضى أن يدفع له الجزية أما القسطنطينية فإنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفس في حياته فإما أن يحفظ عرشه أو يُدفن تحت أسوارها، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال: حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر.

عند الساعة الواحدة صباحاً من يوم الثلاثاء **29** مايو، **1453**م، الموافق **20** جمادى الأولى سنة **857** هـ بدأ الهجوم العام على المدينة، فهجم مائة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج وأعملوا السيف فيمن عارضهم واحتلوا المدينة شيئًا فشيئًا إلى أن سقطت بأيديهم، بعد **53** يوماً من الحصار أما الإمبراطور قسطنطين فقاتل حتى مات وهو يدافع عن وطنه كما وعد، ولم يهرب أو يتخاذل ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر فوجد الجنود مشغولة بالسلب والنهب وغيره، فأصدر أمره بمنع كل اعتداء، فساد الأمن حالاً ثم توجه إلى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف المسيحيون داخلها خوفاً عظيماً، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان، فاطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بأن يؤذن في الكنيسة بالصلاة إعلانًا بجعلها مسجدًا وقد أعطى السلطان

للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينين الذين لهم حق الحكم والنظرفي القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع ثم قام بجمع رجال الدين المسيحيين لينتخبوا بطريركا لهم، فاختاروا جورجيوس كورتيسيوس سكولاريوس وأعطاهم نصف الكنائس الموجودة في المدينة، أما النصف الأخر فجعله جوامع للمسلمين وبتمام فتح المدينة، نقل السلطان محمد مركز العاصمة إليها، وسُميت إسلامبول، أي تخت الإسلام أومدينة الإسلام.

بعد تمام النصر والفتح، اتخذ السلطان لقب الفاتح وقيصر الروم على الرغم من أن هذا اللقب الأخير لم تعترف به بطريركيّة القسطنطينية ولا أوروبا المسيحية وكان السبب الذي جعل السلطان يتخذ هذا اللقب هو أن القسطنطينية كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية، بعد أن نُقل مركز الحكم إليها عام **330** بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، وكونه هو سلطان المدينة فكان من حقه أن يحمل هذا اللقب وكان للسلطان رابطة دم بالأسرة الملكية البيزنطية، وبما أن كثيراً من أسلافه، كالسلطان أورخان الأول، تزوجوا بأميرات بيزنطيات ولم يكن السلطان هو الوحيد الذي حمل لقب القيصر في أيامه، إذ أن إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة في أوروبا الغربية، فريدريش الثالث، قال آنذاك بأنه ينحدر مباشرة من شارلمان، الذي حصل على لقب قيصر عندما توّجه البابا ليو الثالث عام **800** على الرغم من عدم اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بهذا الأمر عندئذ.

كان السلطان قد أمر بحبس الصدر الأعظم خليل باشا، الذي اتهم أثناء حصار القسطنطينية بالتعامل مع العدو وتلقيه رشوة منهم لفضح تحركات

الجيش العثماني، فحُبس لمدة أربعين يوماً وسُملت عيناه، ثم حُكم عليه بالإعدام فأعدم وتنادى البيزنطيين إلى نبذ الخلافات والحزازات والاتحاد ضد العثمانيين وكان البابا نيقولا الخامس أشد الناس تأثراً بنبأ سقوط القسطنطينية، وعمل جهده وصرف وقته في توحيد الدول الإيطالية وتشجيعها على قتال المسلمين، وترأس مؤتمرًا عُقد في روما، أعلنت فيه الدول المشاركة عزمها على التعاون فيما بينها وتوجيه جميع جهودها وقوتها ضد العدو المشترك وأوشك هذا الحلف أن يتحقق إلا أن الموت عاجل البابا في **25** مارس سنة **1455**، فلم تتم أي من هذه الخطط.

بعد إتمامه لترتيباته وبناء ما هُدم من أسوار القسطنطينية وتحصينها، أمر السلطان ببناء مسجد بالقرب من قبر أبي أيوب الأنصاري، جرت العادة فيما بعد أن يتقلد كل سلطان جديد سيف عثمان الغازي الأول في هذا المسجد، ثم سافر بجنوده لفتح بلاد جديدة، فقصد بلاد موره، لكن لم ينتظر أميراها دمتريوس وتوماس، أخوا قسطنطين، قدومه، بل أرسلا إليه يُخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها إثنا عشر ألف دوكا فقبل السلطان ذلك، وغيّر وجهته قاصدًا بلاد الصرب، فأتى هونيدوارا الشجاع المجري، الملقب بالفارس الأبيض وردّ عن الصرب مقدمة الجيوش العثمانية، إلا أن الصرب لم يرغبوا في مساعدة المجر لهم لاختلاف مذهبهم، حيث كان المجر كاثوليكيين تابعين لبابا روما، والصرب أرثوذكسيين لا يذعنون لسلطة البابا بل كانوا يفضلون تسلط المسلمين عليهم لما رأوه من عدم تعرضهم للدين مطلقًا ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنويًا ثمانين ألف دوكا، وذلك في سنة **1454**.

وفي السنة التالية أعاد السلطان الكرّة على الصرب من جديد، بجيش مؤلف من خمسين ألف مقاتل وثلاثمائة مدفع، ومر بجيوشه من جنوب تلك البلاد إلى شمالها بدون أن يلقى أقل معارضة حتى وصل مدينة بلجراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والنهر وكان هونيدوارا المجري دخل المدينة قبل إتمام الحصار عليها ودافع عنها دفاع الأبطال حتى يئس السلطان من فتحها ورفع عنها الحصار سنة **1455** لكن وإن لم يتمكن العثمانيون من فتح عاصمة الصرب إلا أنهم أصابوا هونيدوارا بجراح بليغة توفي بسببها بعد رفع الحصار عن المدينة بنحو عشرين يومًا ولما علم السلطان بموته أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب فأتمّ فتحها من سنة **1458** إلى سنة **1460**.

وفي هذه الأثناء تمّ فتح بلاد موره ففي سنة **1458** فتح السلطان مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرّد توماس باليولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية وبمجرّد ان رجع السلطان بجيوشه ثار توماس وحارب الأتراك وأخاه معاً، فاستنجد دمتريوس بالسلطان فرجع بجيش عرمرم ولم يعد حتى تمّ فتح إقليم موره سنة **1460** فهرب توماس إلى إيطاليا، ونُفي دمتريوس في إحدى جزر الأرخبيل وفي ذلك الوقت فُتحت جزر تاسوس والبروس وغيرها من جزر بحر الروم.

توحيد الأناضول

وبعد عودة السلطان من بلاد اليونان أبرم صلحاً مع إسكندر بك وترك له إقليما ألبانيا وإيبيروس، ثم حوّل أنظاره إلى آسيا الصغرى ليفتح ما بقي منها،

فسار بجيشه دون أن يُعلم أحدًا بوجهته في أوائل سنة 1461، فهاجم أولاً ميناء بلدة أماستريس، وكانت مركز تجارة أهالي جنوة النازلين بهذه الأصقاع ولكون سكانها تجّاراً يُحافظون على أموالهم ولا يهمهم دين أو جنسية متبوعهم ما دام غير متعرّض لأموالهم ولا أرواحهم، وفتحوا أبواب المدينة ودخلها العثمانيون بغير حرب ثم أرسل إلى اسفنديار أمير مدينة سينوب يطلب منه تسليم بلده والخضوع له ولأجل تعزيز هذا الطلب أرسل أحد قوّاده ومعه عدد عظيم من المراكب لحصار الميناء، فسلمها إليه الأمير وأقطعه السلطان أراض واسعة بأقليم بيثينيا لخضوعه ثم قصد بنفسه مدينة طرابزون ودخلها دون مقاومة شديدة وقبض على الملك وأولاده وزوجته وأرسلهم إلى القسطنطينية.

محاربة أمير الفلاخ

ما ان عاد السلطان إلى القسطنطينية حتى جهز جيشا لمحاربة أمير الفلاخ المدعو فلاد دراكول الثالث المخوزق، لمعاقبته على ما ارتكبه من الفظائع مع أهالي بلاده والتعدّي على التجار العثمانيين النازلين بها فلمّا قرب منها، أرسل إليه هذا الأمير وفداً يعرض على السلطان دفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكاً بشرط أن يُصادق على جميع الشروط الواردة بالمعاهدة التي أبرمت في سنة 1393 بين أمير الفلاخ آنذاك والسلطان بايزيد الأول، فقبل السلطان محمد الثاني هذا الاقتراح وعاد بجيوشه ولم يقصد أمير الفلاخ بهذه المعاهدة إلا التمكن من الاتحاد مع ملك المجر متياس كورفينوس ومحاربة العثمانيين فلمّا علم السلطان باتحادهما أرسل إليه مندوبين يسألانه عن الحقيقة، فقبض عليهما وقتلهما بوضعهما على عمود محدد من الخشب، يُعرف بالخازوق وأغار بعدها

على بلاد بلغاريا التابعة للدولة العثمانية وعاث فيها فسادًا، ورجع بخمسة وعشرين ألف أسير، فأرسل إليه السلطان رسلاً يدعونه إلى الطاعة وإخلاء سبيل الأسرى، فلمّا مثل الرسل أمامه أمرهم برفع عمائمهم لتعظيمه، وعند إبائهم طلبه لمخالفته لعوائدهم، أمر بأن تُسمّر عمائمهم على رؤسهم بمسامير من حديد.

فلمّا وصلت هذه الأخبار إلى السلطان محمد استشاط غضباً وسار على الفور بحوالي **60,000** جندي نظامي و**30,000** غير نظامي، فوصل بسرعة إلى مدينة بوخارست، عاصمة الأمير، فهزمه وفرّق جيوشه، لكنه لم يتمكن من القبض عليه لمجازاته على ما اقترفه في حق العثمانيين والبلغار، لهروبه والتجائه إلى ملك المجر، فنادى السلطان بعزله ونصب مكانه أخاه راؤول لثقته به بما أنه تربّى في حضانة السلطان منذ نعومة أظفاره، وبذا ضُمّت بلاد الفلاخ إلى الدولة العثمانية ويُقال أنه عند وصول السلطان محمد إلى ضواحي بوخارست، وجد حول المدينة غابة من الخوازيق التي عُلّقت عليها جثث الأسرى الذين أتى بهم أمير الفلاخ من بلغاريا، وقتلهم عن آخرهم بما فيهم الأطفال والنساء، وكذلك الجنود العثمانيين الذين كان قد قبض عليهم إثر مناوشة ليلية، وكان عددهم جميعا عشرين ألفاً.

فتح البوسنة والعداء مع البندقية

في سنة **1462**، حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها استيفان توماسفيتش عن دفع الخراج، وأسره بعد معركة هو وولده وأمر بقتلهما،

فدانت له جميع بلاد البشناق وأرسل فرمانا إلى الفرنسيسكان من سكان تلك البلاد يُطمئنهم بعدم تعرّض أي منهم للاضطهاد بسبب معتقداهم الدينية، فقال:أنا السلطان محمد خان الفاتح،أعلن للعالم أجمع أن أهل البوسنة الفرنسيسكان قد مُنحوا بموجب هذا الفرمان السلطاني حماية جلالتي ونحن نأمر بأن لا يتعرض أحد لهؤلاء الناس ولا لكنائسهم وصلبهم وبأنهم سيعيشون بسلام في دولتي وبأن أولئك الذين أصبحوا مهاجرين منهم، سيحظون بالأمان والحرية وسيُسمح لهم بالعودة إلى أديرتهم الواقعة ضمن حدود دولتنا العليّة.

لا أحد من دولتنا سواء كان نبيلاً، وزيرا، رجل دين، أو من خدمنا سيتعرض لهم في شرفهم وفي أنفسهم لا أحد يهدد، أو يتعرض لهؤلاء الناس في أنفسهم، ممتلكاهم، وكنائسهم وسيحظى كل ما أحضروه معهم من متاع من بلادهم بنفس الحماية، وبإعلان هذا الفرمان، أقسم بالله العظيم الذي خلق الأرض في ستة أيام ورفع السماء بلا عمد، وبسيدنا محمد عبده ورسوله، وجميع الأنبياء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، بأنه؛ لن نسمح بأن يُخالف أي من أفراد رعيتنا أمر هذا الفرمان وفي سنة **1464**، أراد متياس كورفينوس ملك المجر استخلاص البوسنة من العثمانيين، فهُزم بعد أن قُتل معظم جيشه، وكانت عاقبة تدخله أن جُعلت البوسنة ولاية كباقي ولايات الدولة، وسُلبت ما كان مُنح لها من الامتيازات، ودخل في جيش الإنكشارية ثلاثون ألفاً من شباها وأسلم أغلب أشراف أهاليها.

وكانت قد ابتدأت حركات العدوان في سنة **1463** بين العثمانيين والبنادقة بسبب هروب أحد الرقيق إلى كورون التابعة للبندقية، وامتناعهم عن تسليمه بحجة أنه اعتنق المسيحية دينًا فاتخذ العثمانيون ذلك سببًا للاستيلاء على

مدينة آرجوس وغيرها فاستنجد البنادقة بحكومتهم، فأرسلت إليهم عدداً من السفن محملة بالجنود، وأنزلتهم إلى بلاد موره، فثار سكانها وقاتلوا الجنود العثمانيين المحافظين على بلادهم وأقاموا ما كان قد تهدم من سور برزخ كورون لمنع وصول المدد من الدولة العثمانية، وحاصروا المدينة نفسها واستخلصوا مدينة آرجوس من الأتراك لكن لما علموا بقدوم السلطان مع جيش يبلغ عدده ثمانين ألف مقاتل، تركوا البرزخ راجعين على أعقابهم، فدخل العثمانيون بلاد موره بدون معارضة كبيرة واسترجعوا كل ما أخذوه وأرجعوا السكينة إلى البلاد وفي السنة التالية أعاد البنادقة الكرّة على بلاد موره دون فائدة.

وبعد ذلك حاول البابا بيوس الثاني بكل ما أوتي من مهارة وقدرة سياسية تركيز جهوده في ناحيتين اثنتين حاول أولاً أن يقنع الأتراك باعتناق الدين المسيحي، ولم يقم بإرسال بعثات تبشير لذلك الغرض وانما اقتصر على إرسال خطاب إلى السلطان محمد الفاتح يطلب منه أن يعتنق المسيحية، كما اعتنقها قبله قسطنطين وكلوفيس ووعده بأنه سيكفر عنه خطاياه إن هو اعتنق المسيحية مخلصاً، ووعده بمنحه بركته واحتضانه ومنحه صكاً بدخول الجنة ولما فشل البابا في خطته هذه لجأ إلى الخطة الثانية، خطة التهديد والوعيد واستعمال القوة، فحاول تأجيج الحقد الصليبي في نفوس النصارى شعوبًا وملوكاً، قادة وجنودًا، واستعدت بعض الدول لتحقيق فكرة البابا الهادفة للقضاء على العثمانيين، ولكن لما حان وقت النفير اعتذرت دول أوروبا بسبب متاعبها الداخلية المختلفة وعالج المنون البابا بعد هذا بفترة قصيرة، إلا أن تحريضاته كانت قد أثرت في إسكندر بك الألباني، فحارب الجنود العثمانيين وحدثت بينهما عدّة

وقائع أريقت فيها الدماء، وكانت الحرب فيها سجالاً وفي سنة **1467** توفي إسكندر بك بعد أن حارب الدولة العثمانية **25** سنة دون أن تتمكن من قمعه.

ثمّ بعد هدنة استمرت سنة واحدة، عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت نتيجتها أن فتح العثمانيون جزيرة نجربونت، وتُسمى في كتب الترك أجريبوس، وتُعرف حاليًا باسم إيبويا، وهي مركز مستعمرات البنادقة في جزر الروم، وتمّ فتحها في سنة **1470**.

وبعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبا، حوّل السلطان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى ووجد سبيلاً سهلاً للتدخل، وهو أن أميرها المدعو إبراهيم أوصى بعد موته بالحكم إلى أحد أولاده واسمه الأمير إسحق، ولكونه كان لديه إخوة لأب أكبر منه سناً، يرغب كل منهم فى الحكم ، تدخل السلطان محمد الثاني وحارب إسحق وهزمه وولى محله أكبر إخوته، وعاد إلى أوروبا لمحاربة اسكندر بك، الذي كان ما زال على قيد الحياة آنذاك، فانتهز الأمير إسحق غياب السلطان وعاود الكرّة على قونية، عاصمة القرمان، لاسترداد ما أوصى به إليه أبوه من البلاد، فرجع إليه السلطان وقهره وليستريح باله من هذه الجهة أيضاً، ضمّ إمارة قرمان إلى بلاده وغضب على وزيره محمود باشا الذي عارضه في هذا الأمر.

وبعد ذلك بقليل زحف أوزون حسن، سلطان دولة الخروف الأبيض وهو أحد خلفاء تيمورلنك، الذي كان سلطانه ممتدا على كافة البلاد والأقاليم الواقعة بين نهري أمودريا والفرات، وفتح مدينة توقات عنوة ونهب أهلها فأخذ السلطان في تجهيز جيش جرّار وأرسل لأولاده داوود باشا بكلر بك الأناضول، ومصطفى باشا حاكم القرمان، يأمرهما بالمسير لمحاربة العدوّ، فسارا بجيوشهما

إليه وقابلا جيش أوزون حسن على حدود إقليم الحميد، وهزماه شر هزيمة في معركة بالقرب من مدينة إرزينجان سنة **1471** وبعدها، في أواخر صيف عام **1473**، سار إليه السلطان نفسه ومعه مائة ألف جندي وأجهز على ما بقي معه من الجنود بالقرب من مدينة گنجه، ولم يعد أوزون حسن لمحاربة الدولة العثمانية بعد ذلك، إذ أن هذه المعركة كانت قد قضت على سلطة دولته، ولم يعد للعثمانيين من عدو لجهة الشرق، حتى بروز الشاه إسماعيل الصفوي والدولة الصفوية في وقت لاحق وفي هذه الأثناء كانت الحرب متقطعة بين العثمانيين والبنادقة الذين استعانوا ببابا روما وأمير نابولي، وكان النصر فيها دائماً للعثمانيين، ولم يتمكن البنادقة من استرجاع شيء مما أخذ منهم.

محاربة البغدان وإنهاء الصراع مع البنادقة

في سنة **1475** أراد السلطان فتح بلاد البغدان، وهي المنطقة الشرقية من رومانيا المتاخمة لحدود روسيا والمعروفة أيضاً باسم مولدوفا، فأرسل إليها جيشاً بعد أن عرض دفع الجزية على أميرها المسمى استيفان الرابع ولم يقبل ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين بتاريخ **10** يناير من نفس العام عُرفت بمعركة فاسلوي، كنية بالمدينة القريبة من الموقع ووصل عدد الجنود العثمانيين إلى **120,000** جندي، بينما بلغ عدد الجنود البغدان **40,000** جندي، بالإضافة إلى بعض القوات المتحالفة الأصغر حجما وبعض المرتزقة وبعد قتال عنيف قُتل فيه جنود كثر من الجيشين المتحاربين، انهزم الجيش العثماني وعاد دون فتح شيء من هذا الإقليم ويذكر المؤرخون أن استيفان الرابع قال أن هذه الهزيمة التي لحقت بالعثمانيين هي أعظم هزيمة حققها الصليب على الإسلام وقالت

الأميرة مارا التي كانت زوجةً للسلطان مراد الثاني، والد الفاتح، سابقاً، لمبعوث بندقي أن هذه الهزيمة هي أفظع الهزائم التي تعرّض لها العثمانيون في التاريخ وبذلك اشتهر استيفان الرابع أمير البغدان بمقاومة العثمانيين، فخلع عليه البابا سيكستوس الرابع لقب بطل المسيح والحامي الحقيقي للديانة المسيحية

ولما بلغ خبر هذه الهزيمة آذان السلطان عزم على فتح بلاد القرم حتى يستعين بفرسانها المشهورين في القتال على محاربة البغدان وكان لجمهورية جنوة مستعمرة في شبه جزيرة القرم، في مدينة كافا، فأرسل السلطان إليها أسطولاً بحريّا، ففتحها بعد حصار ستة أيام، وبعدها سقطت جميع الأماكن التابعة لجمهورية جنوة وصارت جميع شواطئ القرم تابعة للدولة العثمانية ولم يُقاومها التتار النازلون بها، لذلك اكتفى السلطان بفرض الجزية عليها وبعد ذلك فتح الأسطول العثماني ميناء آق كرمان، ومنها أقلعت السفن الحربية إلى مصاب نهر الدانوب لإعادة الكرّة على بلاد البغدان، بينما كان السلطان يجتاز نهر الدانوب من جهة البر بجيش عظيم، فتقهقر أمامه جيش البغدان، على الرغم من صدّه لعدّة هجمات عثمانية بنيرانه، لعدم إمكانية المحاربة في السهول، وتبعه الجيش العثماني حتى إذا أوغل خلفه في غابة كثيفة يجهل مفاوزها، انقض عليه الجيش البغداني، فاشتبك مع قوات الإنكشارية التي هزمته شر هزيمة، في معركة أطلق عليها اسم معركة الوادي الأبيض فانسحب استيفان الرابع إلى أقصى شمال غرب بلاده، والبعض يقول أنه لجأ إلى مملكة بولندا، حيث أخذ يجمع جيشاً جديداً ولم يستطع السلطان محمد فتح الحصون الرئيسية البغدانيه بسبب المناوشات الصغيرة المستمرة التي تعرض لها الجيش العثماني من قبل جنود

البغدان، وانتشار المجاعة ثم الطاعون بين أفراد الجيش، مما اضطر السلطان لأن يسحب قواته ويعود إلى القسطنطينية دون فتح البلاد.

وفي سنة **1477** أغار السلطان على بلاد البنادقة ووصل إلى إقليم فريولي بعد أن مرّ بإقليميّ كرواتيا ودالماسيا، فخاف البنادقة على مدينتهم الأصلية وأبرموا الصلح معه تاركين له مدينة كرويا، التي كانت عاصمة اسكندر بك الشهير، فاحتلها السلطان ثم طلب منهم مدينة إشقودره، ولمّا رفضوا التنازل عنها إليه حاصرها وأطلق عليها مدافعه ستة أسابيع متوالية بدون أن يُضعف قوّة سكانها وشجاعتهم، فتركها لفرصة أخرى وفتح ما كان حولها من البلاد والقلاع حتى صارت مدينة إشقودره منفصلة كليّا عن باقي بلاد البنادقة، وكان لا بد من فتحها بعد قليل لعدم إمكان وصول المدد إليها، ولذا فضّل البنادقة أن يبرموا صلحاً جديداً مع السلطان ويتنازلوا عن إشقودره مقابل بعض الامتيازات التجارية وتمّ الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة يوم **28** يناير سنة **1479**م، الموافق **5** ذو القعدة سنة **883**هـ، وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا، إذ كانت جمهورية البندقية حينذاك أهم دول أوروبا لاسيما في التجارة البحرية، وما كان يُعادلها في ذلك إلا جمهورية جنوة.

فتح جزر اليونان ومدينة أوترانت وحصار رودس

بعد أن تم الصلح مع البنادقة، وُجهت الجيوش إلى بلاد المجر لفتح إقليم ترانسلفانيا، فقهرها كينيس كونت مدينة تمسوار بالقرب من مدينة كرلسبرج

في 13 أكتوبر سنة 1476، وقُتل في هذه الموقعة كثير من العثمانيين وارتكب المجر فظائع وحشية بعد الانتصار، فقتلوا جميع الأسرى ونصبوا موائدهم على جثثهم وفي سنة 1480 فُتحت جزر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا، وبعدها سار أمير البحر كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت بجنوب إيطاليا، التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها ويُقال أنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما، مقر البابا، ففُتحت مدينة أوترانت عنوة يوم 11 أغسطس سنة 1480م، 4 جمادى الثاني سنة 885هـ.

وفي هذه الأثناء كان قد أرسل أسطولاً بحرياً آخر لفتح جزيرة رودس، التي كانت مركز رهبنة القديس يوحنا الأورشليمي، وكان رئيسها آنذاك بيير دو بوسون الفرنسي الأصل، وكانت الحرب قائمة بينه وبين سلطان مصر وباي تونس، فاجتهد في إبرام الصلح معهما ليتفرغ لصدّ هجمات الجيوش العثمانية وكانت هذه الجزيرة محصنة تحصيناً منيعاً، وابتدأ العثمانيون حصارها في يوم 23 مايو سنة 1480م، 13 ربيع الأول سنة 885هـ، وظلّت المدافع تقذف عليها القنابل الحجرية تهدّم أسوارها، لكن كان يُصلح سكانها في الليل كل ما تخربه المدافع في النهار، ولذلك استمر حصارها ثلاثة أشهر حاول العثمانيون خلالها الاستيلاء على أهم قلاعها، واسمها قلعة القديس نيقولا، بدون جدوى وفي يوم 28 يوليو سنة 1480م، 20 جمادى الأولى سنة 885هـ، أمر القائد العام بالهجوم على القلعة ودخولها من الفتحة التي فتحتها المدافع في أسوارها، فهجمت عليها الجيوش وقاوم المدافعون بكل بسالة وإقدام وبعد أخد وردّ، تقهقر العثمانيون بعد أن قُتل وجُرح منهم كثيرون، ورفع الباقون عنها الحصار.

ترتيبات السلطان الداخلية

اهتمامه بالمدارس والمعاهد: كان محباً للعلم والعلماء، لذلك اهتم ببناء المدارس والمعاهد في جميع أرجاء دولته، وفاق أجداده في هذا المضمار، وبذل جهوداً كبيرة في نشر العلم وإنشاء دور التعليم، وأدخل بعض الإصلاحات في نظام التعليم وأشرف على تهذيب المناهج وتطويرها، وحرص على نشر المدارس والمعاهد في كافة المدن والقرى وأوقف عليها أوقاف عظيمة.

نظّم هذه المدارس ورتّبها على درجات ومراحل، ووضع لها المناهج، وحدد العلوم والمواد التي تُدرّس في كل مرحلة، ووضع لها نظام امتحانات دقيق للانتقال للمرحلة التي تليها، وكان ربما يحضر امتحانات الطلبة ويزور المدارس ولا يأنف من سماع الدروس التي يلقيها الأساتذة، ولا يبخل بالعطاء للنابغين من الأساتذة والطلبة، وجعل التعليم في كافة مدارس الدولة بالمجان، وكانت المواد التي تدرس في تلك المدارس التفسير والحديث والفقه الأدب والبلاغة وعلوم اللغة والهندسة، وأنشأ بجانب مسجده الذي بناه بالقسطنطينية ثمان مدارس على كل جانب من جوانب المسجد يتوسطها صحن فسيح، وفيها يقضي الطالب المرحلة الأخيرة من دراسته، وألحقت بهذه المدارس مساكن الطلبة ينامون فيها ويأكلون طعامهم ووضعت لهم منحة مالية شهرية، وأنشأ بجانبها مكتبة خاصة وكان يُشترط في الرجل الذي يتولى أمانة هذه المكتبة أن يكون من أهل العلم والتقوى متبحراً في أسماء الكتب والمؤلفين، وكانت مناهج المدارس تتضمن نظام التخصص، فكان لعلوم النقل والعلوم النظرية قسم خاص وللعلوم التطبيقية قسم خاص أيضاً.

وقرّب العلماء ورفع قدرهم وشجعهم على العمل والإنتاج وبذل لهم الأموال ووسع لهم في العطايا والمنح والهدايا وكرّمهم غاية الإكرام، ولما هزم أوزون حسن، أمر السلطان بقتل جميع الأسرى إلا من كان من العلماء وأصحاب المعارف ليستفاد منهم وكان من مكانة الشيخ أحمد الكوراني أنه كان يخاطب السلطان باسمه ولا ينحني له، ولا يقبل يده بل يصافحه مصافحة، وكان لا يأتي إلى السلطان إلا إذا أرسل إليه، وكان يقول له: مطعمك حرام وملبسك حرام فعليك بالاحتياط وكذلك بالنسبة للشيخ آق شمس الدين الذي درّس للسلطان محمد الفاتح العلوم الأساسية في ذلك الزمن وهي القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه والعلوم الإسلامية واللغات العربية، والفارسية والتركية وكذلك في مجال العلوم العلمية من الرياضيات والفلك وتاريخ الحروب، وكان الشيخ آق ضمن العلماء الذين أشرفوا على السلطان محمد عندما تولى إمارة أماسيا ليتدرب على إدارة الولاية، وأصول الحكم واستطاع الشيخ آق شمس الدين أن يقنع الأمير الصغير بأنه المقصود بالحديث النبوي لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش.

وكان الشيخ آق شمس الدين أول من ألقى خطبة الجمعة في مسجد آيا صوفيا وكان السلطان محمد الفاتح يحب شيخه شمس الدين حباً عظيماً، وكانت له مكانة كبيرة في نفسه وقد بين السلطان لمن حوله –بعد الفتح–: إنكم ترونني فرحا فرحي ليس فقط لفتح هذه القلعة إن فرحي يتمثل في وجود شيخ عزيز الجانب، في عهدي، هو مؤدبي الشيخ آق شمس الدين وعبّر السلطان عن مهابته لشيخه في حديث له مع وزيره محمود باشا، حيث قال: إن احترامي للشيخ آق شمس الدين، احترام غير اختياري إنني أشعر وأنا بجانبه بالرهبة.

وكان شاعراً مجيداً مهتماً بالأدب عامة والشعر خاصة، وكان يصاحب الشعراء ويصطفيهم، واستوزر الكثير منهم، وكان في بلاطه ثلاثون شاعراً يتناول كل منهم راتباً شهرياً قدره ألف درهم، وكان مع هذا ينكر على الشعراء التبذل والمجون ويعاقب من يخرج عن الآداب بالسجن أو يطرده من بلاده.

وأتقن اللغة اليونانية وست لغات أخرى عندما بلغ من العمر 21 عاماً، أي في السنة التي فتح فيها القسطنطينية، وأمر بنقل كثير من الآثار المكتوبة باليونانية واللاتينية والعربية والفارسية إلى اللغة التركية، ونقل إلى التركية كتاب التصريف في الطب للزهراوي، وعندما وجد كتاب بطليموس في الجغرافيا وخريطة له طلب من العالم الرومي جورج أميروتزوس وابنه أن يقوما بترجمته إلى العربية وإعادة رسم الخريطة باللغتين العربية واليونانية وكافأهما على هذا العمل بعطايا واسعة، وقام العلامة القوشجي بتأليف كتاب بالفارسية ونقله للعربية وأهداه للفاتح.

كما كان مهتماً باللغة العربية فقد طلب من المدرسين بالمدارس الثماني أن يجمعوا بين الكتب الستة في تدريسهم وبين علم اللغة كالصحاح ودعم الفاتح حركة الترجمة والتأليف لنشر المعارف بين رعاياه بالإكثار من نشر المكاتب العامة وأنشأ له في قصره خزانة خاصة احتوت على غرائب الكتب والعلوم، وكان بها اثنا عشر ألف مجلد عندما احترقت.

اهتمامه بالعمران والبناء والمستشفيات

كان السلطان محمد الفاتح مغرماً ببناء المعاهد والقصور والمستشفيات والخانات والحمامات والأسواق الكبيرة والحدائق العامة، وأدخل المياه إلى المدينة بواسطة قناطر خاصة وشجع الوزراء وكبار رجال الدولة والأغنياء والأعيان على تشييد المباني وإنشاء الدكاكين والحمامات وغيرها من المباني التي تعطى المدن بهاء ورونقاً، واهتم بالعاصمة إسلامبول اهتماماً خاصاً، وكان حريصاً على أن يجعلها أجمل عواصم العالم وحاضرة العلوم والفنون.

كثر العمران في عهد الفاتح وانتشر، واهتم بدور الشفاء، ووضع لها نظاماً مثالياً في غاية الروعة والدقة والجمال، فقد كان يعهد بكل دار من هذه الدور إلى طبيب ثم زيد إلى اثنين من حذاق الأطباء من أي جنس كان، يعاونهما كحال وجراح وصيدلي وجماعة من الخدم والبوابين، ويشترط في جميع المشتغلين بالمستشفى أن يكونوا من ذوي القناعة والشفقة والإنسانية، ويجب على الأطباء أن يعودوا المرضى مرتين في اليوم، وأن لا تصرف الأدوية للمرضى إلا بعد التدقيق من إعدادها، وكان يشترط في طباخ المستشفى أن يكون عارفاً بطهي الأطعمة والأصناف التي توافق المرضى منها، وكان العلاج والأدوية في هذه المستشفيات بالمجان ويغشاها جميع الناس بدون تمييز بين أجناسهم وأديانهم.

ولعلّ أبرز أثار السلطان العمرانية هو قصر الباب العالي الذي أمر بالبدء ببنائه قرابة عقد الستينات من القرن الخامس عشر، إضافة إلى مسجده الذي حمل اسمه، وآيا صوفيا بطبيعة الحال التي أمر بتحويلها من كنيسة إلى مسجد.

الاهتمام بالتجارة والصناعة

اهتم السلطان محمد الفاتح بالتجارة والصناعة وعمل على إنعاشهما بجميع الوسائل والعوامل والأسباب وكان العثمانيون على دراية واسعة بالأسواق العالمية، وبالطرق البحرية والبرية وطوروا الطرق القديمة، وأنشأوا جسور جديدة مما سهل حركة التجارة في جميع أجزاء الدولة، واضطرت الدول الأجنبية لمداهنة الدولة العثمانية ليمارس رعاياها حرفة التجارة في الموانئ المهمة العديدة في ظل الراية العثمانية وكان من أثر السياسة العامة للدولة في مجال التجارة والصناعة أن عم الرخاء وساد اليسر والرفاهية في جميع أرجاء الدولة، وأصبحت للدولة عملتها الذهبية المتميزة، ولم تهمل الدولة إنشاء دور الصناعة ومصانع الذخيرة والأسلحة، وأقامت القلاع والحصون في المواقع ذات الأهمية العسكرية في البلاد.

الاهتمام بالتنظيمات الإدارية

عمل السلطان محمد الفاتح على تطوير دولته؛ لذلك قنن قوانين حتى يستطيع أن ينظم شؤون الإدارة المحلية في دولته، وكانت تلك القوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية وشكل لجنة من خيار العلماء لتشرف على وضع قانون نامه المستمد من الشريعة وجعله أساساً لحكم دولته، وكان هذا القانون مكوناً من ثلاثة أبواب، يتعلق بمناصب الموظفين وببعض التقاليد وما يجب أن يتخذ من التشريفات والاحتفالات السلطانية ويقرر كذلك العقوبات والغرامات، ونص

صراحة على جعل الدولة حكومة إسلامية قائمة على تفوق العنصر الإسلامي أياً كان أصله وجنسه.

اهتم محمد الفاتح بوضع القوانين التي تنظم علاقة السكان من غير المسلمين بالدولة ومع جيرانهم من المسلمين، ومع الدولة التي تحكمهم وترعاهم، وأشاع العدل بين رعيته، وجدّ في ملاحقة اللصوص وقطاع الطرق، وأجرى عليهم أحكام الإسلام، فاستتب الأمن وسادت الطمأنينة في ربوع الدولة العثمانية وعندما كانت الدولة تعلن الجهاد وتدعوا أمراء الولايات وأمراء الألوية، كان عليهم أن يلبوا الدعوة ويشتركوا في الحرب بفرسان يجهزونهم تجهيزاً تاماً، وذلك حسب نسب مبينة، فكانوا يجهزون فارساً كامل السلاح قادراً على القتال عن كل خمسة آلاف آقجه من إيراد اقطاعه، فإذا كان إيراد إقطاعه خمسمائة ألف آقجة مثلاً كان عليه أن يشترك بمائة فارس، وكان جنود الإيالات مؤلفة من مشاة وفرسان، وكان المشاة تحت قيادة وإدارة باشوات الإيالات وبكوات الألوية وقام محمد الفاتح بحركة تطهير واسعة لكل الموظفين القدماء غير الأكفاء وجعل مكانهم الأكفاء، واتخذ الكفائة وحدها أساساً في اختيار رجاله ومعاونيه وولاته.

اهتمامه بالجيش والبحرية

تميز عصر السلطان محمد الفاتح بجانب قوة الجيش البشرية وتفوقه العددي، بإنشاءات عسكرية عديدة متنوعة، فأقام دور الصناعة العسكرية لسد احتياجات الجيش من الملابس والسروج والدروع ومصانع الذخيرة والأسلحة،

وأقام القلاع والحصون في المواقع ذات الأهمية العسكرية، وكانت هناك تشكيلات متنوعة في تمام الدقة وحسن التنظيم من فرسان ومشاة ومدفعية وفرق مساعدة، تمد القوات المحاربة بما تحتاجه من وقود وغذاء وعلف للحيوان وإعداد صناديق الذخيرة حتى ميدان القتال.

وكان هناك صنف من الجنود يسمى، لغمجية وظيفته الحفر للألغام وحفر الأنفاق تحت الأرض أثناء محاصرة القلعة المراد الاستيلاء عليها وكذلك السقاؤون كان عليهم تزويد الجنود بالماء تطورت الجامعة العسكرية في زمن الفاتح وأصبحت تخرج الدفعات المتتالية من المهندسين والأطباء والبيطريين وعلماء الطبيعيات والمساحات، وكانت تمد الجيش بالفنيين المختصصين استحق معه أن يعده المؤرخون مؤسس الأسطول البحري العثماني، ولقد استفاد من الدول التي وصلت إلى مستوى رفيع في صناعة الأساطيل مثل الجمهوريات الإيطالية وبخاصة البندقية وجنوة، أقوى الدول البحرية في ذلك الوقت.

اهتمامه بالعدل

إن إقامة العدل بين الناس كان من واجبات السلاطين العثمانيين، وكان السلطان محمد شأنه في ذلك شأن من سلف من آبائه – شديد الحرص على تحقيق العدالة في أجزاء دولته، ولكي يتأكد من هذا الأمر كان يرسل بين الحين والحين إلى بعض رجال الدين من النصارى بالتجوال والتطواف في أنحاء الدولة، ويمنحهم مرسوماً مكتوباً يبين مهمتهم وسلطتهم المطلقة في التنقيب والتحري والاستقصاء لكي يطلعوا كيف تساس أمور الدولة وكيف يجري ميزان العدل

بين الناس في المحاكم، وقد أعطى هؤلاء المبعوثون حرية كاملة في النقد وتسجيل ما يرون ثم يرفعون ذلك كله إلى السلطان.

وكانت تقرير هؤلاء المبعوثين المسيحيين تشيد دائماً بحسن سير المحاكم وإجراء العدل بالحق والدقة بين الناس بدون محاباة أو تمييز، وكان السلطان الفاتح عند خروجه إلى الغزوات يتوقف في بعض الأقاليم وينصب خيامه ليجلس بنفسه للمظالم ويرفع إليه من شاء من الناس شكواه ومظلمته واعتنى بوجه خاص برجال القضاء الذين يتولون الحكم والفصل في أمور الناس، فلا يكفي في هؤلاء أن يكونوا من المتضلعين في الفقه والشريعة والاتصاف بالتراهة والاستقامة وحسب بل لا بد إلى جانب ذلك أن يكونوا موضع محبة وتقدير بين الناس، وأن تتكفل الدولة بحوائجهم المادية حتى تسد طرق الإغراء والرشوة، فوسع لهم الفاتح في عيشهم كل التوسعة، وأحاط منصبهم بحالة مهيبة من الحرمة والجلالة والقداسة والحماية. أما القاضي المرتشي فلم يكن له عند الفاتح من جزاء غير القتل.

وكان برغم اشتغاله بالجهاد والغزوات يتتبع كل ما يجري في أرجاء دولته بيقظة واهتمام، وأعانه على ذلك ما حباه الله من ذكاء قوي وبصيرة نافذة وذاكرة حافظة وجسم قوي، وكان كثيراً ما يترل بالليل إلى الطرقات والدروب ليتعرف على أحوال الناس بنفسه ويستمع إلى شكاواهم بنفسه، كما ساعده على معرفة أحوال الناس جهاز أمن الدولة الذي كان يجمع المعلومات والأخبار التي لها علاقة بالسلطنة وترفع إلى السلطان الذي كان يحرص على دوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها والتماس الإحاطة بجوانب الخلل في أفرادها وجماعاتها.

توسّعت الدولة العثمانية في أيام السلطان محمد الفاتح، من عام **1451** حتى عام **1481** وكان يقود الحملة ولا يحدد وجهتها، لأنه كان شديد الحرص على عدم كشف مخططاته العسكرية حتى لأقرب وأعز قواده وقد قال في هذا الصدد عندما سئل مرة: لو عرفته شعرة من لحيتي لقلعتها، عرض أهل البندقية على طبيبه الخاص يعقوب باشا أن يقوم باغتياله، ولم يكن يعقوب مسلماً عند الولادة فقد ولد بإيطاليا، وقد ادعى الهداية، وأسلم بدأ يعقوب يدس السم تدريجياً للسلطان، ولكن عندما علم بأمر حملة سيقوم بها السلطان تجاه إيطاليا زاد جرعة السم وتوفى السلطان يوم **3** مايو عام **1481**م، **4** ربيع الأول سنة **886**هـ عن ثلاث وخمسين سنة، ومدة حكمه **31** عاما، قضاها في حروب متواصلة للفتح وتقوية الدولة وتعميرها، وأتم خلالها مقاصد أجداده، ففتح القسطنطينية وجميع ممالك وأقاليم آسيا الصغرى والصرب والبشناق وألبانيا، وحقق كثيرا من المنجزات الإدارية الداخلية التي سارت بدولته على درب الازدهار ومهدت الطريق أمام السلاطين اللاحقين ليركزوا على توسيع الدولة وفتح أقاليم جديدة ومن مآثره أيضاً وضعه أول مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات، فأبدل العقوبات البدنية، أي العين بالعين والسنّ بالسنّ، وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أتمها السلطان سليمان القانوني لاحقاً.

وقد افتضح أمر يعقوب فيما بعد، فأعدمه حرس السلطان وهناك اعتقاد أخر ينص على أن من دفع يعقوب ليدس السم للسلطان كان ابنه بايزيد الثاني رغبة منه فى تولي العرش وصل خبر موت السلطان إلى البندقية بعد **16** يوماً، جاء الخبر في رسالة البريد السياسي إلى سفارة البندقية في القسطنطينية، واحتوت الرسالة على هذه الجملة لقد مات النسر الكبير وانتشر الخبر في

البندقية ثم إلى باقي أوروبا، وراحت الكنائس في أوروبا تدق أجراسها لمدة ثلاثة أيام بأمر من البابا.

دُفن السلطان في المدفن الخاص الذي أنشأه في أحد الجوامع التي أسسها في الأستانة، وترك ورائه سمعة مهيبة في العالمين الإسلامي والمسيحي.

الفصل الثالث

دور التوسع

(1453–1683)

ويضم كل من السلاطين (بايزيد الثاني – سليم الأول) القاطع – (سليمان الأول القانوني – سليم الثاني – مراد الثالث – محمد الثالث – أحمد الأول – مصطفى الأول – عثمان الثاني – مراد الرابع – إبراهيم الأول – محمد الرابع

بايزيد الثاني

بايزيد الثاني بن محمد الفاتح هو ثامن السلاطين العثمانيين، عاش بين عامي 1447 و1512، وتقلد الحكم منذ عام 1481، عرف عنه أنه كان يؤلف الشعر، والموسيقى ويتقن فن الخط العربي.

ولد بايزيد في القرن التاسع الهجري، وكان أكبر أولاد أبيه السلطان محمد الفاتح حكم في عهد أبيه مقاطعة أماسيا وتولى السلطنة بعد أبيه بعد أن نازعه أخوه جم عليها وحدثت خلافات في عهده بين دولته ودولة المماليك وتحاربت الدولتان حرباً ثم تم إبرام صلح بعدها.

وصلت الغزوات في عهده لدولة البندقية التي انتصر عليها، فاستنجدت بملك فرنسا والبابا، فقامت حروب صليبية بين الطرفين وظهرت في عهده دولة روسيا سنة **886** هـ وأرسلت له سفيرها عام **897** هـ وأجبر من قبل الإنكشارية في آخر حياته على التنازل عن الحكم لابنه سليم الأول سنة **918** هـ وهي نفس السنة التي توفي فيها.

سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح

10أكتوبر 1470 ـ22 سبتمبر 1520 م

سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وأول من تلقب بأمير المؤمنين من خلفاء بني عثمان، يعرف لدى الغرب والبعض بسليم العابس ويلقب كذلك بياوز أي الشجاع عند الأتراك، حكم لثمانية سنوات بدءا من عام **1520** حتى وفاته.

كان أبوه يريد أن يولي العهد لابنه أحمد، وهو أكبر أولاده، ولكن ابنه سليم اضطره، بتأييد الجيش الإنكشاري ومكائد أمه اليهودية ليونا، أن يوليه العهد، فخلع نفسه وولاه الخلافة وتوفي بعد عشرين يوماً وكان حوله ملكين يعاديانه وقد اتفقا عليه، وهما السلطان إسماعيل الصفوي حاكم إيران، وكان شيعي المذهب، والسلطان قنصوه الغوري حاكم مصر والشام.

الحمله ضد الشاه

قام الشاه إسماعيل بنشر التشيع بالقوة في ربوع بلاد فارس، ففر الكثير من السكان وقتل الكثير ممن عارضه، ووصلت حركة التشيع إلى الأهالي الموجودين على الحدود العثمانية، وعندما علم السلطان بالأمر اتخذ منه ذريعة للحرب فأعد جيشه، وسار به بنفسه لغزو إيران بعد أن أمر بقتل كل من اعتنق التشيع من الرعايا العثمانيين.

عمد الشاه إسماعيل إلى تخريب الجسور والطرق لتأخير الجيش العثماني حتى الشتاء البارد أملاً في ثني سليم عن احتلال تبريز، فأرسل السلطان إليه ملابس نساء كهدية قاصداً تشبيهه بالنساء بسبب تجنبه لقاء جيش السلطان، فغضب إسماعيل الصفوي وآثر الخروج للقتال، والتقيا في معركة جالديران وانتصر سليم الأول بسبب التدريب العالي للجيش العثماني واستعمال العثمانيين لأحدث التكنولوجيا الحربية، ودخل تبريز عاصمة ملكه واستولى على عرشه وخزائن ملكه وأسر زوجة الشاه المهزوم وأمر بتزويجها لأحد رجاله ليزيد ثقل هموم الشاه وحزنه وذلك في **14** رجب **920** هـ **1514/9/4**م

أراد العثمانيون اللحاق بالجيش الإيراني الذي فر إلى الجبال ولكن عدداً من قادة الانكشارية رفضوا تلبية الأوامر لشدة البرودة وعدم تجهيز الجيش لذلك، فقفل سليم عائداً إلى إسطنبول وأمر بإعدام كل من كان عارض أوامره من الانكشارية.

وقاتل قانصوه الغوري في معركة مرج دابق شمال حلب وذلك في **25**رجب **922**هـ (**1516/8/24**م)، وأبلى المماليك بلاءاً حسناً في اليوم الأول، لكنهم لم يلبثوا أن عاودوا الاختلاف فيما بينهم وقُتِلَ قنصوه الغوري بعد خيانة جان بردي الغزالي وخاير بك له وانضمامهما للجيش العثماني ثم زحف سليم على مصر مصطحباً معه آخر الخلفاء العباسيين المتوكل على الله الثالث وقاتل الملك طومان باي خليفة الغوري وقتله واستولى على مصر وولى عليها خاير بك، والشام وسلّم له الحجاز، ومنحه لقب أمير المؤمنين بمباركة الخليفة الأسير ووالده الخليفة المخلوع المستمسك بالله يعقوب.

وفي أثناء وجوده في مصر راسله خير الدين برباروس طالباً منه الانضواء تحت الراية العثمانية فقبل، وأصبح خير الدين قائداً عاماً للبحرية العثمانية فيما بعد وعاد السلطان سليم إلى القسطنطينية متوجاً بنصر عظيم، وكان قد وضع خطة لفتح جزيرة رودس ولم يمهله الموت فتوفي في 9شوال 926هـ و1520/9/22م وخلفه ابنه السلطان سليمان الأول، وابان فترة حكم سليم الأول اتسعت مساحة الدولة العثمانية من 4،2 مليون كم مربع إلى 5،6 مليون كم مربع.

ويروي ابن إياس ان لدى خروج سليم الأول من مصر أخذ معه كميات كبيرة من الكنوز والأموال كما يروى أنه لدى احتلاله للقاهرة نقل أمهر فنانيها وحرفييها إلى إسطنبول وأصدر فرمانا يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين ولسيناء عام 1518م وكان السلطان سليم شجاعاً ذكياً طموحاً عظيم الهيبة ذو عزيمة تفل الحديد ونفس تحب الغزو والجهاد وكان يميل إلى القوة ويعده المؤرخون أحد العبقريات العسكرية في التاريخ لدهاءه وإنجازاته العسكرية وكان سريع الغضب شديد البطش نادرا ما يُرى مبتسما متجهم الوجه حتى لقبه سفراء الدول الأجنبية بالعابس وقيل انه قتل أكثر من أربعة من وزرائه ووجهائه ويصفه من رآه من معاصريه بأنه كان عظيم اللحية شاحب الوجه نحيف البدن ولا يضع حلق في أذنيه كما تخيل بعض الرسامين الغربيون لأنها محرمة على الرجال عند المسلمين وعلى الرغم من بطشه وجبروته إلا أن السلطان سليم كان يجل العلماء والأدباء ويقدمهم في مجلسه ويحسن إليهم كذلك شجع رعاياه على العلم وطلبه، كما أنه أي السلطان كان عارفاً بالفقه والشعر والتاريخ ويروى أنه كان يكتب الشعر بالفارسية توفِّيَ سنة 1520.

سليمان القانوني

(1495م ـ 1566م)

سليمان القانوني بن سليم في الغرب يعرف بسليمان العظيم أحد أشهر السلاطين العثمانيين، ولد في مدينة طرابزون حين كان والده والياً عليها عاش بين عامي 900هـ–972هـ – 1495م–1566م، حكم لمدة 48 عاماً منذ عام 1520م،وبذلك يكون صاحب أطول فترة حكم بين السلاطين العثمانيين زادت مساحة الدولة العثمانية بأكثر من الضعف خلال فترة حكمه، حيث فتح شمال أفريقيا، وفي أوروبا قضى على دولة المجر وفتح بلجراد وحاصر فيينا.

والده السلطان سليم الأول ووالدته حفصة سلطان ابنة منكولي كراي خان القرم قضى السلطان سليمان القانوني ستة وأربعين عاماً على قمة السلطة في دولة الخلافة العثمانية، وبلغت في أثنائها الدولة قمة درجات القوة والسلطان؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث، وامتدت هيبتها فشملت العالم كله، وصارت سيدة العالم يخطب ودها الدول والممالك، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تسيّر الحياة في دقة ونظام، دون أن تخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم، وارتقت فيها الفنون والآداب، وازدهرت العمارة والبناء.

تولى السلطان سليمان القانوني بعد موت والده السلطان سليم الأول في 9 شوال 926هـ – 22 سبتمبر 1520م، وبدأ في مباشرة أمور الدولة،

وتوجيه سياستها، وكان يستهل خطاباته بالآية الكريمة {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، والأعمال التي أنجزها السلطان في فترة حكمه كثيرة وذات شأن في حياة الدولة.

في الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة والضرب على أيدي الخارجين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال، معتقدين أن صغر سن السلطان الذي كان في السادسة والعشرين من عمره فرصة سانحة لتحقيق أحلامهم، لكن فاجأهم عزيمة السلطان القوية التي لا تلين، فقضى على تمرد جان بردي الغزالي في الشام، وأحمد باشا في مصر، وقلندر جلبي في منطقتي قونيه ومرعش الذي كان شيعيًا جمع حوله نحو ثلاثين ألفًا من الأتباع للثورة على الدولة.

تعددت ميادين القتال التي تحركت فيها الدولة العثمانية لبسط نفوذها في عهد سليمان فشملت أوروبا وآسيا وأفريقيا، فاستولى على بلجراد سنة 927هـ – 1521م، وحاصر فيينا سنة 935هـ – 1529م لكنه لم يفلح في فتحها، وأعاد الكَرّة مرة أخرى، ولم يكن نصيبها أفضل من الأولى ضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست، وجعلها ولاية عثمانية.

وفي آسيا قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية، ابتدأت من سنة 941هـ – 1534م، وهي الحملة الأولى التي نجحت في ضم العراق إلى الدولة العثمانية وفي الحملة الثانية سنة 955هـ – 1548م أضيف إلى أملاك الدولة تبريز، وقلعتا: وان وأريوان أما الحملة الثالثة فقد كانت سنة 962هـ – 1555م وأجبرت الشاه طهماسب على الصلح وأحقية العثمانيين في كل من أريوان وتبريز وشرق الأناضول.

وواجه العثمانيون نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي، فاستولى أويس باشا والي اليمن على قلعة تعز سنة 953هـ 1546م، ودخلت عُمان والأحساء وقطر والبحر تحت نفوذ الدولة العثمانية، وأدت هذه السياسية إلى الحد من نفوذ البرتغاليين في مياه الشرق الأوسط وفي أفريقيا، دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس، وإريتريا، وجيبوتي والصومال، ضمن نفوذ الدولة العثمانية.

كانت البحرية العثمانية قد نمت نموًا كبيرًا منذ أيام السلطان بايزيد الثاني، وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة، وفي عهد سليمان ازدادت قوة البحرية على نحو لم تشهده من قبل بانضمام خير الدين بربا روسا، وكان يقود أسطولاً قويًا يهاجم به سواحل أسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط، وبعد انضمامه إلى الدولة منحه السلطان لقب قبودان وقد قام خير الدين – بفضل المساعدات التي كان يتلقاها من السلطان سليمان القانوني– بضرب السواحل الإسبانية، وإنقاذ آلاف من المسلمين في أسبانيا، فقام في سنة 935هـ – 1529م بسبع رحلات إلى السواحل الأسبانية لنقل سبعين ألف مسلم من قبضة الحكومة الإسبانية.

وقد وكل السلطان إلى خير الدين قيادة الحملات البحرية في غرب البحر المتوسط، وحاولت أسبانيا أن تقضي على أسطوله، لكنها أخفقت في كل مرة وتكبدت خسائر فادحة، ولعل أقسى هزائمها كانت معركة بروزة سنة 945هـ – 1538م وقد انضم أسطول خير الدين إلى الأسطول الفرنسي في حربه مع الهابسبورج، وساعد الفرنسيين في استعادة مدينة نيس 950هـ – 1543م واتسع نطاق عمل الأسطول العثماني فشمل البحر الأحمر، حيث

استولى العثمانيون على سواكن ومصوع، وأخرجوا البرتغاليين من مياه البحر الأحمر، واستولى العثمانيون على سواحل الحبشة؛ مما أدى إلى انتعاش حركة التجارة بين آسيا والغرب عن طريق البلاد الإسلامية.

كان السلطان سليمان القانوني شاعراً له ذوق فني رفيع، وخطاطاً يجيد الكتابة، وملماً بعدد من اللغات الشرقية من بينها العربية، وكان له بصر بالأحجار الكريمة، مغرماً بالبناء والتشييد، فظهر أثر ذلك في دولته، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى فشيد المعاقل والحصون في رودس وبلجراد وبودا، وأنشأ المساجد والصهاريج والقناطر في شتى أنحاء الدولة، خاصة في دمشق ومكة وبغداد، غير ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة ويؤكد الباحث جمال الدين فالح الكيلاني أن عصر السلطان سليمان القانوني يعتبر العصر الذهبي للدولة العثمانية حيث كانت الدولة الأقوى في العالم والمسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي، سنان آغا، الذي اشترك في الحملات العثمانية، واطّلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص، ويعد مسجد سليمان القانوني أو جامع السليمانية في إسطنبول الذي بناه للسلطان سليمان في سنة 964هـ – 1557م من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي.

وفي عهده وصل فن المنمنمات العثمانية إلى أوجه وقد قدّم عارفي وثائق الحوادث السياسية والاجتماعية التي جرت في عصر سليمان القانوني في منمنمات زاهية، ولمع في هذا العصر عدد من الخطاطين العظام يأتي في مقدمتهم: حسن أفندي جلبي القره حصاري الذي كتب خطوط جامع السليمانية، وأستاذه أحمد بن قره حصاري، وله مصحف بخطه، يعد من روائع الخط العربي

والفن الرفيع، وهو محفوظ بمتحف طوبي قابي وظهر في عهد السلطان سليمان عدد من العلماء، في مقدمتهم أبو السعود أفندي صاحب التفسير المعروف باسم إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

غير أن الذي اشتهر به واقترن باسمه هو وضعه للقوانين التي تنظم الحياة في دولته الكبيرة هذه القوانين وضعها مع شيخ الإسلام أبو السعود أفندي، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته، وحرص على أن تتفق مع الشريعة الإسلامية والقواعد العرفية، وقد ظلت هذه القوانين التي عرفت باسم قانون نامه سلطان سليمان، أي دستور السلطان سليمان، وطبق حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري – التاسع عشر الميلادي.

ولم يطلق الشعب على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين، وإنما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة، ولهذا يعد العثمانيون الألقاب التي أطلقها الأوروبيون على سليمان في عصره مثل: الكبير، والعظيم، قليلة الأهمية والأثر إذا ما قورنت بلقب القانوني الذي يمثّل العدالة ولم يكن عهد القانوني الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع، وإنما هو العهد الذي تمت فيه إدارة أعظم دولة بأرقى نظام إداري.

وقام سليمان القانوني بالعديد من أعمال التشييد، ففي عصره بني جامع السليمانية الذي بناه المعماري سنان، كما قام بحملة معمارية في القدس من ضمنها ترميم سور القدس الحالي كما عرف بسنّه قوانين لتنظيم شؤون الدولة عرفت باسم قانون نامه سلطان سليمان أي دستور السلطان سليمان، وظلت هذه القوانين تطبق حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وكان ذلك مصدر تلقيبه

بالقانوني ولقد سماه الفرنجه بسليمان العظيم ويعرف أيضا بلقب سليمان المشرع.

وفاته

سليم الثاني بن سليمان القانوني (930 هـ/1524 م-982 هـ/1574 م) هو الخليفة العثماني الحادي عشر وكان شاعراً أمه هي روكسلان الروسية تولى الحكم بعد أبيه عام 974 هـ/1566 قامت أمه وهو معها بتحريض أبيه على قتل أبنية الآخرين من زوجة أخرى لينفرد بالحكم.

كان ضعيفا أعطى العديد من سلطاته لوزرائه، وعندما امتنع عن إعطاء العطايا للجنود أظهروا العصيان، فاضطر إلى العطاء ويرى البعض أنه لولا هيبة الدولة في السابق وقوة وزيره محمد الصقلي لسقطت الدولة عقد صلحا مع النمسا يعترف فيه بأملاكها في المجر مقابل دفع جزية سنوية للسلطنة وجدد المعاهدات مع بولونيا وفرنسا بدأت فرنسا في عهده ترسل إرساليات مسيحية كاثوليكية إلى رعاياها في الدولة العثمانية وبذلك بدأ العمل ضد العثمانيين من الداخل وتربية النصارى على الارتباط بفرنسا.

قامت ثورة في اليمن بإمرة المطهر بن شرف الدين فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة عثمان باشا ودعمه سنان باشا والي مصر فقضى على الثورة عام 976 هـ وتم في عهده فتح قبرص عقد البابا حلفا مع أسبانيا والبندقية ضد العثمانيين وأيدهم رهبان جزيرة مالطة وانتصروا على العثمانيين في موقعة بحرية ولكن النصارى اختلفوا فعرضت البندقية الصلح وتم الصلح عام 80هـ واحتلت

أسبانيا تونس عام 980هـ ثم استعادها العثمانيون بعد ثمانية أشهر وقضى على تمرد في إمارة البغدان عام 981هـ وتوفى في 27 شعبان عام 982هـ بعد حكم ثمانية أعوام ويذكر المؤرخون الغربيون أن سبب وفاته إفراطه الشديد في تناول الخمر ويقول المؤرخون المسلمون سبب وفاته انزلاق قدمه في الحمام ،فسقط منها سقطه عظيمة ،وليس كما يدعيه الغربيون الذين يكيدون له ، مرض منها أياما ثم توفي سنة 574 م .

مراد بن السلطان سليم بن سليمان القانوني

أحد خلفاء الدولة العثمانية ولد عام **953** هـ وتولى الخلافة عام **982** هـ بعد وفاة أبيه، وبعد أن تولى السلطة أمر بمنع شرب الخمر، ولكن ثورة الإنكشارية أجبرته على ترك هذا القرار أدخل بولونيا تحت حماية الدولة العثمانية عام **983** هـ، وجددت الدول الأوروبية (فرنسا والبندقية) امتيازاته وحدثت ثورة في مراكش في عهده، استعان فيها زعماء الثورة بالبرتغاليين النصارى بينما طلب سلطان مراكش المساعدة من الخليفة العثماني فأرسل قوة انتصرت على البرتغاليين والثوار وأعيد السلطان الشرعي إلى حكمه.

استغل العثمانيون وفاة طهماسب شاه الدولة الصفوية عام **984** هـ ومقتل ابنه فوجهوا جيشا لاحتلال الكرج ودخلوا عاصمتها تفليس عام **985** هـ ثم أكملوا المسير نحو شروان في أذربيجان الشمالية فدخلوها عام **986** هـ طلب العثمانيون من خان القرم أن يساعدهم في محاربتهم للصفويين، إلا أنه رفض، فوجهوا جيوشهم لتأديبه إلا أن تلكم الجيوش أنهكت وتمت محاصرتها ثم قام عثمان باشا قائد الجيش العثماني بوعد أخو الخان بالحكم إن هو ساعدهم فقام بقتل أخيه الخان بالسم، فدخل عثمان باشا كافا عاصمة الخان عين عثمان باشا لدى عودته لإستانبول صدرا أعظما .

انهزم الصفويون في معارك عدة أجبرتهم على التنازل عن عدة ولايات من دولتهم للعثمانيين وحدثت ثورة قام بها أفراد من أمراء الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا وانضموا إلى النمسا فسار إليهم سنان باشا الصدر الأعظم ودخل

بوخارست عاصمة الأفلاق ولكن أمير الأفلاق استطاع أن ينتصر في النهاية وانسحب العثمانيون إلى ما بعد نهر الدانوب وخسروا عدة مدن توفي الخليفة مراد الثالث عام 1003 هـ.

محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني

(974هـ ـ1012 هـ/ 1566 ـ1603 م)

هو الخليفة العثماني الثالث عشر،أمسك زمام الحكم عام **1595**، كان شاعراً وهو ابن جارية بندقية الأصل، اشتراها السلطان مراد واصطفاها لنفسه وكانت ذات أثر كبير في السياسة في بداية حكمه ترك تسيير شؤون الدولة الداخلية لوزرائه ، وبعدما بدأت الدولة تتخبط لاسيما بعد اندلاع الحرب مع النمسا قاد الجيش بنفسه ، ولم يحدث أن قام سلطان عثماني بقيادة الجيوش بنفسه منذ عهد سليمان القانوني وانتصر على المجر والنمسا في موقعة كرزت عام **1005** هـــ ثم قام تمرد في الأناضول أثاره جنود هاربون من معركة كرزت كانت الدولة قد نفتهم إلى الأناضول، فحاصرهم الجيوش العثمانية، فاستسلم قائدهم مقابل أن يصبح والياً على أماسيا فوافق الخليفة إلا أنه عاد وقام بثورة جديدة فقتل رئيس المتمردين وتولى أخوه من بعده قيادة الثورة، فأعطي ولاية البوسنة.

وقامت ثورة أخرى هي ثورة الخيالة (السباه) في إستانبول لأن الدولة لم تستطع تعويضهم مالياً عما فقدوه من اقطاعات في البلقان فاستعانت الدولة بالإنكشارية لتقضي على الثورة وقضت عليها بالفعل بعد أن أفسدوا ونهبوا المساجد وغيرها مما وصلت أيديهم إليه توفي عام **1012** هـــ.

أحمد الأول بن محمد بن مراد

(998ـ1062 هـ /1590 مـ1617م)

السلطان العثماني الرابع عشر، كان شاعراً وله ديوان مطبوع، وصل إلى الحكم عام **1603**م كان عهده عهد حروب وتمردات وثورات ضد دولته.

تولى الحكم وهو فى الرابعة عشر قامت في فترة حكمه حركات تمرد ضد الدولة العثمانية مثل حركة جان بولاد الكردي الذي هزم واضطر إلى الفرار إلى إيطاليا قام الشاه عباس ملك الصفويين باحتلال عدة مدن تتبع الدولة العثمانية فاضطر أحمد الأول إلى إجراء صلح بين العثمانيين والصفويين، يفقد فيه العثمانيون كل ما ضمه سليمان القانوني من أراض في تلك الجهات أيضا عقدت الدولة العثمانية صلحا في عهده مع النمسا تخلصت فيه النمسا من الجزية السنوية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية وجرت في عهده حروب بحرية بين السفن العثمانية وسفن أوروبا وكانت في الأغلب تنتهى لصالح أوروبا.

جدد امتيازات الدول الأوربية مثل فرنسا وإنجلترا وهولندا.

مصطفى بن محمد بن مراد

ابن سليم بن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد الفاتح

تولى حكم الدولة العثمانية سنة **1617**، وفي سنة **1618** عزله ابن اخيه عثمان الثاني، إلا إنه رجع إلى الحكم مره أخرى بعد أن قتل الإنكشارية عثمان الثاني سنة **1622** فحكم سنه واحده ثم عزله ابن اخيه مراد الرابع بن أحمد الأول سنة **1623**.

السلطان عثمان الثاني

هو عثمان بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد الفاتح خرج على عمه السلطان مصطفى الأول وعزله وأخذ السلطه منه سنة **1618** وتولاها إلى أن قتله الإنكشارية في **20** مايو **1622**.

السلطان مراد الرابع

(1612-1640م)

مراد الرابع بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان القانوني بن سليم الأول بن بايزيد بن محمد الفاتح، هو الخليفة العثماني الثامن عشر، حكم 17 عاما منذ عام 1032 هـ/ وكان عمره آنذاك 11 عاماً ضم بغداد للدولة العثمانية عام 1639 م كان مولعاً بالشعر كما كان موسيقياً مميزاً.

تولى أمر الخلافة بعد عزل عمه مصطفى الأول عام 1032 هـ وهو صغير فسيطر عليه الإنكشارية في بداية الأمر وحدث تمرد في بغداد فأرسل الخليفة جيشاً إليها ولكن الصفويين دخلوا بغداد واستولوا عليها، وبعد وفاة الشاه عباس وتولى ابنه الصغير مكانه استغل العثمانيون الفرصة وحاصروا بغداد ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها.

تولى السلطان مراد الرابع عرش الدولة العثمانية، والأخطار تحدق بها من الداخل والخارج؛وكانت فرق الإنكشارية تعبث بمصالح البلاد العليا، وتعيث في الأرض فساداً، حتى إنهم قتلوا السلطان عثمان الثاني وكان على الرغم من صغر سنه يحاول أن ينهض بالدولة، ويبث فيها روح الإصلاح، ويبعث الحياة في مؤسسات الدولة التي شاخت وهرمت، لكن الإنكشارية لم يمكنوه من ذلك، واعترضوا طريقه، وتدخلوا فيما لا يعنيهم، فلم يجد السلطان مفرا من تقليص نفوذهم، وقمع تمردهم، ولو كان ذلك بتصفية وجودهم العسكري، لكنهم كانوا أسبق منه، فأشعلوا ثورة في عاصمة الخلافة في (رجب 1031هـ مايو

1622م) عرفت في التاريخ بـــالهائلة العثمانية راح ضحيتها السلطان الشاب الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة.

وبعد مقتل السلطان ولّوا السلطان مصطفى الأول وكان لا يملك من أمره شيئا، وصارت مقاليد البلاد في يد الإنكشارية، وعمّت أرجاء الدولة الفوضى والاضطرابات، وظلت ثمانية عشر شهراً دون أن تجد يداً حازمة تعيد للدولة أمنها وسلامتها واستمراراً لهذا العبث قام الإنكشارية بعزل السلطان مصطفى الأول وولوا مكانه ابن أخيه السلطان مراد الرابع بن أحمد الأول، وكان حدثًا لا يتجاوز الثانية عشرة، فصارت أمه كوسم مهبيكر نائبة السلطنة، تقوم بالأمر دونه، لكن مقاليد الأمور كانت بيد الإنكشارية التي علا شأنها وازداد نفوذها، واطمأنت إلى أن السلطنة في يد ضعيفة.

عانت الدولة العثمانية في الفترة الأولى من ولاية مراد الرابع عدم الاستقرار واستمرار الاضطرابات والفوضى الداخلية التي تجاوزت عاصمة الخلافة إلى أطرافها؛ حيث أعلن والي طرابلس الشام استقلاله، وطرد الإنكشارية من ولايته، وفعل الشيء نفسه أباظة باشا والي أرضروم، واستولى على أنقرة وصادر إقطاعيات الإنكشارية.

وانتهزت الدولة الصفوية هذه الفوضى التي عمّت الدولة العثمانية فاستولت على بغداد، وحاولت الدولة أن تستردها، فبعثت جيشاً يقوده الصدر الأعظم حافظ باشا فحاصر المدينة وضيق عليها الخناق، ولكن دون جدوى فتذمّر الإنكشارية، وأجبروا الصدر الأعظم على رفع الحصار والعودة إلى الموصل، ومنها إلى ديار بكر، وهناك ثارت عليه الإنكشارية، فعزله السلطان حتى تهدأ الأوضاع، وعين مكانه خليل باشا الذي سبق أن تولى هذا المنصب قبل

ذلك، لكنه لم يستمر طويلا، وخلفه خسرو باشا سنة (1035هـ – 1627م) وبعد تولّيه الصدارة اتجه إلى أرضروم، ونجح في إجبار أباظة باشا على التسليم، والدخول في طاعة الدولة، سنة (1037هـ 1629م) لكنه لم يفلح في استرداد بغداد، واضطر إلى رفع الحصار عنها في سنة (1039هـ 1631م) وفي طريق العودة عزله السلطان مراد الرابع وأعاد حافظ باشا إلى منصب الصدارة مرة أخرى كان خسرو باشا ظلومًا باطشًا، يستند في سلطانه على جماعة الإنكشارية في إستنبول التي يوجهها كما يشاء، فلما عزله السلطان أراد أن يكيد له، فأوعز إلى رؤساء الإنكشارية أن السلطان لم يعزله إلا لوقوفه إلى جانبهم وتعاطفه معهم، فثارت الإنكشارية في العاصمة، وطالبت السلطان بإعادة خسرو باشا إلى منصبه، لكن السلطان رفض مطلبهم، فاشتعلت ثورتهم في (19 رجب 1041هـ 10 من فبراير 1632)، وقتلوا حافظ باشا أمام السلطان الذي لم يستطع أن يبسط حمايته عليه، ويدفع عنه أذاهم.

كان السلطان يعلم أن خسرو باشا وراء هذه الثورة؛ فأمر بالقبض عليه، لكنه لم يذعن للأمر ورفض التسليم، وكانت هذه أول مرة في التاريخ العثماني يعترض وزير على أمر سلطاني، لكن القوات المكلّفة بالقبض عليه حاصرته في قصره، وقتلته في (19 من شعبان 1041 هـ 11 من مارس 1632م) وفي اليوم الثاني أشعل الإنكشاريون ثورة هائلة أمام باب سراي السلطان؛ في محاولة لإرهاب السلطان وإفزاعه، لكنه واجه التمرد بالحزم، ورفض مطالبهم، واجتمع بالديوان والعلماء وأعلن أن الفوضى تغلغلت في كيان الدولة، وأن الجيش أصبح لا يحارب، وصار الجندي لا يؤدي واجبه لتدخله في سياسة الدولة، وهدد بأنه لن يتردد في البطش بمن لا يطيعه مهما كان ذلك الشخص.

انتهت فترة نيابة السلطانة كوسم التي دامت نحو تسع سنوات، وأصبح مراد الرابع طليق اليد في إدارة شؤون الدولة، بعد أن ضرب بيد من حديد على الثائرين، وقتل كل من ثبت أن له علاقة بالفتنة، فسكنت الثورة واستقرت الأوضاع، وبدأ السلطان في اتخاذ الإجراءات التي تعيد النظام إلى الدولة؛ حتى يفرغ لاستعادة ما فقدته الدولة من أراضيها.

خرج السلطان بنفسه على رأس حملة كبيرة إلى بلاد فارس سنة (1045 هـ 1635م) وكان النظام يسود فرق الجيوش البالغة نحو 200 ألف جندي، فأعاد الانضباط، وما كانت عليه الجيوش العثمانية في أيام سليمان القانوني من ضبط ونظام واستهل الجيش انتصاراته بفتح مدينة أريوان في الشمال الغربي من إيران في 25 صفر 1045 هـ 10 أغسطس 1635م ثم قصد مدينة تبريز ففتحها في 28 ربيع الأول 1045هـ 10 سبتمبر 1635م، ولم يواصل الجيش فتوحاته في إيران؛ إذ عاد السلطان إلى بلاده طلبًا للراحة.

وما كاد السلطان يستقر في إستنبول حتى عاود الصفويون القتال، فاستردوا أريوان بقيادة الشاه صافي بعد حصار لها دام ثلاثة أشهر، واستعادوا مدينة تبريز مع أجزاء كبيرة من أذربيجان فاستنفرت هذه الأخبار حماس السلطان الشاب، فخرج في جيش كبير أحسن إعداده، واتجه إلى بغداد، وشرع في حصارها في 8 رجب 1048 هـ 15نوفمبر 1638م وكان في المدينة المحاصرة حامية كبيرة تبلغ 40000 جندي، ولم يستطع الشاه الإيراني الاقتراب من الجيش العثماني، واعتمد على قوة جيشه المرابط في المدينة، وأبراج قلعتها الحصينة، لكن ذلك لم يغن عنها شيئا، فسقطت المدينة بعد حصار دام تسعة

وثلاثين يوماً، في 18 شعبان 1048 هـ 25 ديسمبر 1638م، وعادت المدينة إلى الدولة العثمانية بعد أن بقيت في يدي الصفويين خمسة عشر عاماً.

بعد ذلك رغب الشاه الصفوي في الصلح، وعرض على الدولة العثمانية أن يترك لها مدينة بغداد مقابل أن تترك له مدينة أريوان، ودارت المفاوضات بينهما نحو عشرة أشهر، انتهت بعقد الصلح بينهما في 21 جمادى الأولى 1049هـ 19 سبتمبر 1639م.

وتوفي السلطان في 16شوال 1049 هـ 8 فبراير 1640م وكانت سنه قد تجاوزت السابعة والعشرين بستة أشهر، ولم يترك ولدًا.

ويُعدّ السلطان مراد الرابع من كبار سلاطين الدولة العثمانية، نجح في إعادة النظام إلى الدولة، وأعاد الانضباط إلى الجيش، وأنعش خزانة الدولة التي أُنهكت نتيجة القلاقل والاضطرابات، ومدّ في عمر الدولة نحو نصف قرن من الزمان وهي مرهوبة الجانب، قبل أن تتناوشها أوروبا بحروبها المتصلة.

لكن يؤخذ عليه أنه في سبيل ذلك استعان بوسائل استبدادية، حتى قيل إنه قتل عشرين ألفا في سبيل تأمين النظام في الدولة .

إبراهيم الأول

(1615م- 1648م)

الخليفة العثماني التاسع عشر.

جلس السلطان على العرش بعد وفاة أخيه مراد الرابع في (16 من شوال 1049هـ – 1640م)، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، وقضى فترة إمارته في عهد أخويه المخيفين عثمان الثاني ومراد الرابع بعيداً عن أي مهام، وشاهد مقتل إخوته الأربعة الكبار، وبقي ينتظر مثل مصيرهم، وهذا جعله عصبياً ومضطرباً لا يستقر على شيء، كما أنه لم يكمل تحصيله العلمي، ولم تتوافر له المهارة العسكرية بسبب العزلة التي فرضت عليه، وفي بداية حكمه حاول أن يكون مثل أخيه السلطان مراد الرابع، ولكن لم تكن له صفاته؛ فاضطربت أمور الدولة، وتوالى عزل الصدور العظام أو قتلهم، ولأن الدولة كانت قد استعادت هيبتها في عهد سلفه مراد الرابع فإن قصور إمكانات السلطان وضعف سياسته لم تؤثر تأثيراً قوياً في جسد الدولة الكبير.

في سبيل حصول السلطان إبراهيم على ولي عهد له ينقذ أسرة بني عثمان من الانقراض قضى معظم وقته مع الجواري الحسناوات، وكانت والدته السلطانة كوسم تدفعه في هذا الطريق؛ حتى يمكنها التدخل في شئون الدولة، وليس أدل على انصرافه إلى حياة اللهو والمتعة من إنجابه أكثر من 100 ابن له، وصار مثل السلطان مراد الثالث الذي أشتهر بإنغماسه في اللهو، وشغفه بالنساء إلى حد السَّفَه.

وكان من شأن الحياة المترفة اللاهية التي انغمس فيها السلطان أن تدخلت سيدات الحريم السلطاني في شئون الدولة، وتغلغل نفوذهن في أجهزة الحكومة، وبلغ تأثيرهن إلى الحد الذي جعل السلطان إبراهيم يقتل الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا، ولم تشفع له بسالته في محاربة الدولة الصفوية، ثم يقتل يوسف باشا قائد الحملة البحرية على جزيرة كريت وفقدت الدولة بهذا التصرف الرجال الأكْفَاء الذين تقوم على أكتافهم إدارة أمورها، وحل محلهم من لا قدرة لهم ولا شأن، وزاد الأمور سوءًا وفاة شيخ الإسلام يحيى أفندي؛ ففقدت الدولة عنصراً مهمّاً من عناصر التوازن الكبيرة، وأصبح السلطان ذو الخبرة القليلة فريسة حاشية ضعيفة دفعته إلى حياة اللهو.

وبلغت السفاهة بالسلطان أنه اعتزم مرتين قتل جميع المسيحيين في إستانبول، لولا أن وقف في وجهه أسعد زاده أبو سعيد أفندي شيخ الإسلام، وحذره من الإقدام على مثل هذا العمل.

ورغم الحالة السيئة التي كانت عليها أجهزة الحكومة، وتغلغل نفوذ نساء القصر؛ فإن الدولة ظلت قوية لم تتأثر كثيرًا بتخبط السلطان وكبار رجاله، وقام السلطان في وقت تيقظه وانتباهه لتبعات منصبه بغزو جزيرة كريت، وكان استقلالها عن نفوذ الدولة أمرًا يدعو للدهشة؛ فدولة كبرى مثل الدولة العثمانية التي لها أسطول دائم في المحيط الأطلسي تترك جزيرة كريت التي تقع في متناول يدها خاضعةً لجمهورية البندقية.

وحدث أن وقعت سفينة عثمانية تحمل رجالاً ونساء وأطفالاً في أيدي فرسان القديس يوحنا وكان مقرهم جزيرة مالطة، وكانت السفينة في طريقها إلى الحجاز، وقام هؤلاء القراصنة بقتل الرجال وسبي النساء، وتنصير الأطفال؛

ليكونوا في زعمهم جنودًا من جنود المسيح يحاربون ويقتلون المسلمين في أعالي البحار ونتيجة لهذا قررت الدولة الاستيلاء على جزيرة كريت، ودأب السلطان إبراهيم على زيارة الترسانة البحرية، والإشراف على الاستعدادات، وأعطى القيادة العليا لمشير البحر الوزير يوسف باشا، وتحركت الحملة في **5** ربيع الأول **1055**هـ **30** إبريل **1645**م)، وكانت تضم **106** سفن و**300** ناقلة جنود، وما يزيد على **70** ألف جندي، وفي الطريق توقفت في نافارين، ثم وصلت الحملة إلى كريت، وضربت حصاراً حول قلعة كانية، واستسلمت القلعة على الرغم من تحصينها وقوة دفاعاتها، غير أن الحملة لم تتمكن من السيطرة على الجزيرة كلها، وتركت قوة تعدادها **12000** جندي للمحافظة على كانية وحمايتها، ومواصلة فتح الأجزاء المتبقية في الجزيرة، وفي السنة التالية فرض العثمانيون حصاراً حول كنديا عاصمة الجزيرة، لكن حال دون فتحها تمرد الجنود الإنكشارية.

ازدادت أحوال الدولة سوءاً، واضطربت ماليتها، ونزع الإنكشارية إلى التكتل والتدخل في شئون الدولة، وحاول السلطان إبراهيم أن يقمع الفتنة، ويتخلص من زعماء الإنكشارية بعد أن علا صوتهم، وازداد تدخلهم في شئون الدولة، وتركوا مهمتهم الأصلية في الدفاع عن الدولة ومهاجمة أعدائها إلى التذمر وانتقاض أعمال السلطان، والقيام بالسلب والنهب.

وعندما علم زعماء الإنكشارية بعزم السلطان، تحركوا سريعاً وأعلنوا ثورتهم، وعاونهم فيها شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي وبعض العلماء، وكانت السلطانة الوالدة كوسم مهبيكر تقف وراء الثورة، واتفق الجميع على عزل السلطان وتولية ابنه محمد الرابع، ولم يكن قد أتم السابعة من عمره، ووقعت

هذه الثورة في **18** رجب **1058**هـ **8** أغسطس **1648**م، وتحقق لها خلع سلطان غير قدير إلى حد كبير، ولا يصلح لتولي مسئولية دولة عظيمة كالدولة العثمانية، غير أن وجوده كان سيمنع على الأقل كثيراً من التصرفات السيئة إذا ما قورن بالنتائج السيئة التي ستترتب على جلوس طفل صغير على عرش دولة كبيرة.

وبعد عشرة أيام من عزله قرر العصاة الذين قاموا بهذه الفتنة قتله حين تنادى بعض رجال الدولة بضرورة عودته، لكن ذلك لم يكن في صالحهم، وكان عمر السلطان حين قتل خنقاً قد بلغ الثالثة والثلاثين، ودُفن في قبره الموجود في رواق جامع آيا صوفيا إلى جانب عمه مصطفى الأول.

السلطان محمد الرابع

في الأيام الأخيرة من حكم السلطان العثماني إبراهيم خان الأول ساءت أحوال الدولة وازدادت الأمور سوءًا، واضطربت مالية البلاد، ونزع الجنود الإنكشارية إلى التدخل في شئون الحكم وعمت الفوضى والقلاقل، وحاول السلطان أن يعيد الأمور إلى نصابها ويقمع حالة الفوضى التي اجتاحت العاصمة إستانبول، ويقضي على رؤوس الفتنة من الإنكشاريين الذين تخلوا عن وظيفتهم في الدفاع عن البلاد، وتفرّغوا لمناهضة السلطان، لكن السلطان لم ينجح في عزمه، وكان الإنكشاريون أسرع منه، فاشتدت ثورتهم التي اندلعت في 8 رجب 1058هـ 8 أغسطس 1648م، ولم تنته ثورتهم إلا بخلع السلطان وتولية ابنه محمد بدلاً منه في منصب الخلافة.

كان السلطان محمد الرابع حين جلس على عرش الدولة في السابعة من عمره، فقد ولد في 29 رمضان 1051هـ 1 يناير 1642م، ولما كان صغيراً فقد تولت جدته كوسم مهبيكر نيابة السلطنة، وأصبحت مقاليد الأمور في يديها، واستمرت فترة نيابتها ثلاث سنوات، ساءت فيها أحوال الدولة وازدادت سوءًا على سوء، واستبد الإنكشارية بالحكم، وسيطروا على شئون الدولة، وتدخلوا في تصريف أمورها، ولم يعد لمؤسسات الدولة معهم حول ولا قوة، وقد أطلق المؤرخون على هذه الفترة سلطنة الأغوات.

وبعد وفاة السلطانة الجدة سنة 1062هـ 1651م لم يكن محمد الرابع قد بلغ السن التي تمكنه من مباشرة سلطاته وتولي زمام الأمور، فتولت أمه

السلطانة خديجة تاريخان نيابة السلطنة، وكانت شابة في الرابعة والعشرين، اتصفت على صغرها برجاحة العقل واتزان الرأي، ذات رأي وتدبير، تحرص على مصالح الدولة العليا التي أصبحت تعصف بها أهواء الإنكشارية، ولذا شغلت نفسها بالبحث عن الرجال الأكفاء الذين يأخذون بيد الدولة، ويعيدون إليها هيبتها، وكانت تأمل في أن تجد صدراً أعظم قديراً يعتمد عليه السلطان في جلائل الأعمال، حيث توالى على هذا المنصب كثير من رجال الدولة الذين عجزوا عن الخروج بدولتهم من محنتها الأليمة.

ووجدت السلطانة الشابة ضالتها المنشودة بعد خمس سنوات من البحث الدءوب في محمد باشا كوبريللي، وهو من أصل ألباني، قوى الشكيمة، ورجل دولة من الطراز الأول، فاشترط لنفسه قبل أن يتولى هذا المنصب الرفيع أن يكون مطلق اليد في مباشرة سلطاته وألا تُغلّ يده، فقبلت السلطانة هذا الشرط؛ حرصاً على مصالح الدولة، ورغبة في أن يعود النظام والهدوء إلى مؤسسات الدولة وفى ليبيا الخاضعة للحكم العثماني كانت تعم الفوضي فى عهد الداي عثمان الساقزلي إلي أن نجح أمير حامية طرابلس أحمد القرمانلي وهو ذو أصول لعائلة قادمة من قرمان بالانقلاب والاستيلاء علي طرابلس الغرب ليؤسس حكم الأسرة القرمانلية أما خارج أسوار مدينة طرابلس فكانت السيطرة فيها لرجال البادية وكان الحاكم الشهير عبد الرحمن الجبالي شريف أولاد سالم له معارك شهيرة مع ابن جميل حاكم فزان وسيف النصر الأول والمرامير وكانت تخضع له العربان بالبادية من ساحل الأحامد إلي الجبل الأخضر ومقرة قصر الجبالي بسرت ومدحة العياشي في رحلة العطش(ماء الموائد1056

\1064)هجرية بأن قال قهر الأعراب وتوود إليه الأتراك وعم الأمان لطرق القوافل إلي دول جنوب الصحراء والسودان وكان سببا لحقد الجميع عليه.

باشر كوبريللي عمله في 26 ذي القعدة 1066هـ 15سبتمبر 1656م، وأعلن أن السلطان محمد قد بلغ سن الرشد، وانتهت بذلك نيابة السلطانة الوالدة التي دامت خمس سنوات، وتوارت إلى الظل، ولم تتدخل في أمور السلطنة بعد أن اطمأنت أن مقاليد البلاد في يد أمينة، وانصرفت إلى أعمال الخير وتربية ولديها سليمان وأحمد وبدأ محمد باشا كوبريللي أعماله بإعادة هيبة الدولة، فضرب على يد الخارجين من الإنكشارية بيد من حديد، وأجبرهم على احترام النظام، والانشغال بعملهم والتفرغ للدفاع عن الدولة وحمايتها باعتبار أن هذا هو عملهم الأساسي ووظيفتهم الأولى، وليس لهم حق التدخل في شؤون الدولة، وكان لسياسته الحازمة وميله إلى الشدة والترهيب فيما يتصل بأمور الدولة أثره في انتظام أمورها واستتباب أمنها، ثم كلفه السلطان محمد الرابع بالدفاع عن الدولة أمام الأخطار المحدقة بها، فهزم البنادقة، وأخذ منهم جزيرة لمنوس وبعض الجزر الأخرى، وكان هؤلاء قد استولوا على هذه الجزر، واحتلوا مضيق الدردنيل، وفرضوا حصاراً بحرياً على الدولة، ومنعوا دخول المواد التموينية إلى إستانبول، فارتفعت الأسعار، وتدهورت الحالة الاقتصادية ، ولولا نجاح كوبريللي في فك هذا الحصار لتعرضت الدولة إلى خطر فادح.

استمرت صدارة محمد كوبريللي خمس سنوات، ونجحت الدولة أثنائها فى أن تسترد عافيتها ويعود إليها بعض هيبتها القديمة على الساحة العالمية، وبعد وفاته سنة (1072هـ 1661م) أصدر السلطان محمد الرابع قراراً بأن يتولى

أحمد كوبريللي منصب الصدارة العظمى خلفاً لأبيه، وكان في السادسة والعشرين من عمره، ويعد أصغر من تولى هذا المنصب في تاريخ الدولة العثمانية، لكنه كان عظيم الكفاءة، متعدد المواهب، على دراية واسعة بالسياسة العالمية، وما إن تولى منصبه حتى أدرك أن جبهة الدولة الخارجية تحتاج إلى جهود كثيرة منه، فترك متابعة أمور الدولة الداخلية إلى قرة مصطفى باشا، وتحرك هو إلى إعلان الحرب على النمسا التي انتهزت فرصة انشغال الدولة العثمانية بأمورها الداخلية المضطربة، فاعتدت على حدود الدولة، وبنت عليها قلعة حربية، على الرغم من مخالفة ذلك للمعاهدة المعقودة بينهما، لكنها لم تستجب لنداءات الدولة العثمانية المتكررة.

تحرك الصدر الأعظم من أدرنة على رأس جيش هائل يبلغ نحو 120 ألف جندي، مزودين بالمدافع والذخائر والعتاد، حتى وصل إلى قلعة نوهزل الشهيرة، وكانت تقع شمال غرب بودابست، على الشرق من فيينا بنحو 110 كم، ومن براتسلافيا بنحو 80 كم، وكانت بالغة التحصين، فائقة الاستحكامات حتى أصبحت من أقوى القلاع في أوروبا، وما إن وصل كوبريللي إلى القلعة حتى ضرب عليها حصاراً قوياً دام سبعة وثلاثين يوماً، اضطرت القلعة بعدها إلى طلب الصلح والاستسلام، فوافق الصدر الأعظم، شريطة جلاء الحامية عن القلعة بغير سلاح ولا ذخيرة، فدخلها في25 صفر 1074هـ – 28 سبتمبر 1683م، وبعد استسلام هذه القلعة العظيمة استسلمت حوالي 30 قلعة نمساوية، واضطرت النمسا إلى طلب الصلح، ودفعت للدولة العثمانية غرامات حرب قدرها 200 ألف سكة ذهبية، وأن

تبقى كافة القلاع التي فتحتها الجيوش العثمانية تحت سيادتها، وعاد كوبريللي إلى أدرنة مكللا بالنصر في 2 رمضان 1075هـ 17 مارس 1665م.

ولم يكد يمضي سنتان على هذا النصر حتى كلف السلطان محمد الرابع قائده المظفر أحمد باشا كوبريللي باستكمال فتح جزيرة كريت التي فتحها السلطان إبراهيم الأول لكن ظلت قلعة كانديه وبعض القلاع بالجزيرة تقاوم العثمانيين بسبب المساعدات التي تتلقاها من بلاد أوروبا.

تحرك كوبريللي على رأس أسطول بحري إلى جزيرة كريت، وضرب حصاراً حول كانديه في رمضان 1077هـ مارس 1667م ودام الحصار نحو سبعة أشهر صمدت خلالها القلعة ثم عاود الحصار مرة أخرى في 8 محرم 1079هـ 18 يونيو1668م لكنه طال هذه المرة، حتى تجاوز العامين، وفي النهاية تنازلت البندقية عن كانديه بما فيها من مدافع وأسلحة للدولة العثمانية، وأصبحت كريت تابعة للدولة العثمانية، وقضى كوبريللي وقتاً بعد الفتح في إصلاح القلاع والأسوار والأبنية، ثم غادر الجزيرة بعد أن ظل بها ثلاث سنوات ونصف .

وفي أثناء تولي كوبريللي الصدارة العظمى دخلت بلاد القوقاز جنوبي روسيا في حماية الدولة العثمانية، فلما حاولت بولونيا الاعتداء على بلاد القوقاز استنجدت بالدولة العثمانية التي تحركت على الفور لنجدتها، وأجبرت ملك بولونيا على طلب الصلح.

نشبت الحرب مع روسيا بسبب الصراع حول أوكرانيا فغادر السلطان محمد الرابع وقرة مصطفى باشا الصدر الأعظم الذي تولى المنصب بعد وفاة

كوبريللي إستانبول على رأس حملة هائلة هي الحملة الأولى لسلطان عثماني على روسيا في 8 ربيع الأول 1089هـ 30 مارس 1678م، حتى بلغت قلعة جهرين في أوكرانيا، فضربت حولها حصاراً، وكانت قلعة محصنة، وكان يدافع عنها جيش روسي ضخم يقدر بمائتي ألف جندي، لكن القلعة سقطت بعد اثنين وثلاثين يوماً، وقُتل من الجيش الروسي 20 ألف جندي، ثم عاود السلطان محمد الرابع حملة ثانية على روسيا بعد عامين من حملته الأولى، لكنها انتهت بعقد معاهدة أدرنة بين الدولتين واتفق الطرفان على أن تقسم أوكرانيا بين العثمانيين والروس، على أن يكون القسم الأكبر من البلاد تحت الحكم العثماني، وأن تستمر روسيا في تقديم الضريبة السنوية إلى بلاد القرم التابعة للعثمانيين، وأن تدفع المبالغ المتراكمة عليها خلال سنوات الحرب مرة واحدة.

كانت الدول الأوروبية قد تألبت على الدولة العثمانية وأفزعها ما بلغته من قوة، فأخذت تتحرش بها، وكانت النمسا تقف في مقدمة الدول المناوئة لها، فاتخذت الدولة قرارها بتوجيه ضربة قوية للنمسا حتى تكف يدها عن التدخل في شئون المجر التي كانت خاضعة للدولة العثمانية.

وفي 19 رجب 1094هـ 14 يوليو 1683م وصل الجيش العثماني بقيادة قرة مصطفى باشا إلى فيينا، وضرب عليها حصاراً شديداً، استمر الحصار شهرين تهدمت أثنائه أسوار المدينة المنيعة، واستشهد آلاف العثمانيين الطامعين في نيل شرف الفتح، وانزعج البابا بعد أن أدرك خطورة الموقف، وتحركت أوروبا لنداءاته، وجاءت الإمدادات والمساعدات إلى فيينا، واستطاعت أن تعبر جسر الدونة إلى المدينة المحاصرة، وكان الإقدام على هذا العمل خطورة كبيرة لأن الجسر كان تحت سيطرة العثمانيين، لكن المكلف بحماية الجسر لم ينسفه عند

مرور هذه القوات وتركها تعبر في سلام إلى المدينة، في واحدة من أكبر الخيانات التي شهدها التاريخ العثماني، ولما نشب القتال انهزم العثمانيون وفكوا حصارهم عن فيينا ودقت كنائس فيينا أجراسها فرحة بهذا النصر، وجاوبتها كافة أجراس العالم المسيحي.

نهاية السلطان محمد اخر الفاتحين (فترة النكبات)

تلقى محمد الرابع أنباء هذه الهزيمة المدوية ولم يفعل شيئًا سوى أن بعث بمن قتل الصدر الأعظم الكفء قرة مصطفى باشا تحت تأثير بعض الوشاة والكارهين للصدر الأعظم وبدأ روان يسترد بعض ما فقدته الدولة في المجر، لكنه لم ينجح، وتلقى صدره الأعظم سليمان باشا هزيمة منكرة في سهل موهاكس أمام التحالف المقدس وكان من نتائج الهزائم المتتابعة التي لحقت بالدولة العثمانية في أواخر عهد محمد الرابع أن ثار الجيش في وجهه، وقام بخلعه بعد أن دامت سلطنته نحو أربعين سنة، وكانت الدولة في تاريخ خلعه قد فقدت كثيراً من أراضيها للبنادقة والنمساويين، وتولى بعده أخوه سليمان الثالث، ودخلت الدولة العثمانية في عصر توقف الفتوح.

الفصل الرابع

دور الجمود

(1683– 1827)

ويضم كل من :سليمان الثاني – أحمد الثاني – مصطفى الثاني – أحمد الثالث – محمود الأول – عثمان الثالث – مصطفى الثالث – عبد الحميد الأول – سليم الثالث – مصطفى الرابع – محمود الثاني.

سليمان الثاني بن الخليفة إبراهيم بن أحمد

(1052هـ- 1102هـ)

أحد خلفاء الدولة العثمانية تولى الحكم بعد أخيه محمد الرابع عام **1099**هـ وكان عمره يزيد على **44** سنة أكثر من عطايا الجند ولم يعاقبهم على ما فعلوه بأخيه فطمعوا فيه وتمردوا عليه وقتلوا قادهم وقتلوا الصدر الأعظم سياوس باشا وسبوا نساءه فعين الخليفة صدراً أعظم جديدًا وهو مصطفى باشا بن محمد كوبريللي.

انتهز منافسوا الدولة العثمانية الفوضى الحادثة في البلاد، فاستردت النمسا كثيراً من المواقع والمدن وكذلك فعلت البندقية وتوالت هزائم محمد كوبريللى فسار على نهج أبيه وأخيه فحمى الأهالي من تصرفات الجند وأعطى الجنود حقوقهم وعامل النصارى معاملة حسنة فأحبه الناس حتى أن نصارى المورة ثاروا ضد البندقية وطردوا جيشها من بلادهم واستعاد بعض المواقع من النمسا وأخضع خان القرم، وأعاد تيكلي المجري إقليم ترانسلفانيا إلى الدولة العثمانية وبتلك الانتصارات استعاد العثمانيون كثيراً من هيبتهم توفي الخليفة عام 1102 هـــ ولم ينجب، فتولى مكانه أخوه أحمد الثاني.

أحمد الثاني

أحمد الثاني بن إبراهيم بن أحمد

(1052/1106هـ ـ 1643/ 1695م)

الخليفة العثماني الحادي والعشرين تولى الحكم عام **1106**هـ لمدة **4** أعوام حتى وفاته كان خطاطاً محترفاً، فكان يكتب المصاحف بخطه تولى الحكم بعد أخيه سليمان الثاني الذي يصغره بشهرين عام **1102**هـ في أيامه توفي الصدر الأعظم مصطفى كوبريلى وهو يجاهد ضد النمسا وتولى بعده عربجى باشا وكان ضعيفاً ضاعت أيامه البندقية وبعض جزر بحر إيجة تولى الحكم بعده ابن أخيه مصطفى الثاني بن محمد الرابع.

مصطفى الثاني بن محمد بن إبراهيم

(1106هـ-1115هـ/ 1664 م- 1703 م)

السلطان العثماني الثاني والعشرين، كان خطاطاً موهوباً تولى الحكم بعد وفاة عمه أحمد الثاني عام 1106 هـ قاد جيوش الدولة العثمانية بنفسه، انتصر على بولونيا في عدة معارك، وقام بإنهاء الحصار المضروب على مدينة آزوف من قبل بطرس الأكبر قيصر روسيا هزم الجيوش المجرية في عدة معارك ولكنه هُزم في معركة مع النمسا فاستغل بطرس الأكبر ذلك ودخل مدينة آزوف عام 1108 هـ ولي حسين كوبريللي منصب الصدر الأعظم وشهدت فترته انتصارات على جيوش النمسا وانتصار الأسطول العثماني على دولة البندقية وعقدت مع النمسا والبندقية وروسيا وبولونيا بجهود فرنسا وذلك عام 1110 هـ وتسمى معاهدة كارلوفتس فقدت من خلالها الدولة العديد من المدن لصالح الدول الأخرى حيث انسحب العثمانيون من بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا ولم تعد هناك أى دولة تدفع جزية للدولة العثمانية وأصبحت الدول الأوروبية النصرانية تقف كلها في وجه العثمانيين وتستعد لتقسيم الدولة العثمانية ثم استقال حسين كوبريللى من الصدارة العظمى عام 1114هـ وثارت الإنكشارية على من خلفه واستبدله بآخر فثاروا عليه أيضاً وطلبوا من الخليفة أن يعزله فرفض فعزلوا الخليفة عام 1115هـ وولوا أخاه أحمد الثالث مكانه وتوفي بعد أربعة أشهر وكان عند وفاته في التاسعة والثلاثين من عمره.

أحمد الثالث

أحمد بن الخليفة محمد بن إبراهيم

(1083هـ ـ 1149هـ)

أحد خلفاء الدولة العثمانية تولى الخلافة عام **1115**هـ وكان عمره آنذاك اثنين وثلاثين سنة وزع على الإنكشارية الأعطيات الكثيرة في بداية حكمه وسار مع آرائهم حتى إذا تمكن اقتص من قادتهم لم يفطن وزراؤه لإصلاحات بطرس الأكبر ملك روسيا وخطته للتوسع على حساب مملكتي السويد وبولندا والسلطنة العثمانية.

مني ملك السويد شارل الثاني عشر بهزيمة قاسية على يد العساكر الروسية في موقعة بولتاوا أجبرته على اللجوء إلى مدينة بندر العثمانية ، وأخذ بتحريض السلطان على محاربة مملكة روسيا ، ولكن وزراء أحمد الثالث آثروا السلم ، ولم يفطنوا إلى خطر بطرس الأكبر وخطته .

بعد مدة من الزمن تم تولية بلطه جي محمد باشا أمور الوزارة ، وكان ميالاً لقتال الروس ، وفعلاً أعلن الحرب على ملكها وقاد الجيوش بنفسه ، وقد كان عدد جيشه حوالي مائتي ألف مقاتل ، وبعد مجموعة من المناورات عسكرية إستطاع أن يحاصر الجيش الروسي الذي يقوده بطرس الأكبر بنفسه ، ولو إستمر الحصار لمدة أطول لأخذ بطرس الأكبر وقادته أسرى وانفرط عقد مملكته، ولكن معاهدة فلكزن تمت بين الطرفين ، وبموجبها تنازلت روسيا عن

بعض الأراضي وتوالت الأحداث والمعاهدات بين الطرفين حتى خرجت روسيا من كل الثغور و الموانئ الموجودة على البحر الأسود ، كما صرح الخليفة للتجار الروس بالمرور في أراضى الدولة العثمانية دون دفع أي شيء.

أراد العثمانيون إستعادة شبه جزيرة المورة اليونانية ، فدارت حرب بين العثمانيين وجمهورية البندقية ، انتهت بانتزاع الجيوش العثمانية لأغلب أراضى المورة ، ولكن البنادقة مالبثوا أن استعانوا بإمبراطورية النمسا وقائدها العسكري الشهير آنذاك أوجين دي سافوا .

دارت رحى الحرب بين العثمانيين والنمسا فانتصرت النمسا ، وعقدت معاهدة كرست ، وأعطت للنمسا الكثير من الأجزاء التي تم الاستيلاء عليها ومما يجدر بالذكر أن العثمانيين اختاروا الوقت الغير مناسب لدخولهم تلك الحرب لعدم إنشغال النمسا بأية حروب مع فرنسا ، وقدرتها على توجيه كامل جيوشها إلى المعارك ، وضعف العلوم العسكرية العثمانية مقارنة بنظيرتها النمساوية.

الاتجاه إلى الشرق وعزل أحمد الثالث :

أراد العثمانيون تعويض ماخسروه في أوروبا ، فاتجهوا شرقا نحو بلاد الفرس فاحتلوا أرمينيا والكرج وغيرها مستغلين الخصومات في الصف الإيراني ، وبسبب رغبة السلطان في عقدالسلم بين الطرفين ، ثارت عساكر الإنكشارية التي أرادت استمرار الحرب ليستمروا في السلب والنهب وانتهت تلك الأحداث بعزلهم أحمد الثالث الذى في عهده دخلت المطبعة وتأسست دار للطباعة في إستانبول.

السلطان محمود الأول ابن الخليفة مصطفى الثاني

(1108هـ1168 هـ)

أحد سلاطين الدولة العثمانية تولى الحكم بعد عمه أحمد الثالث عام 1143 هـ، وكان عمره آنذاك خمس وثلاثين سنة قاتلت الدولة في عهده الصفويين فتغلبت على طهماسب فتخلى للعثمانيين عن تبريز، وهمذان، وإقليم لورستان.

قامت حروب بين الدولة العثمانية وروسيا في عهده، على إثرها احتلت روسيا بعض مناطق الدولة العثمانية. في عهده أيضا، انتصرت الدولة العثمانية على الصرب والنمسا، واستردت بلجراد والأفلاق، وتعهدت روسيا بعدم بناء السفن في البحر الأسود كما تم عقد اتفاق في عهده مع السويد ضد روسيا عام 1153 هـ توفي محمود الأول عام 1168 هـ، وخلفه أخوه عثمان الثالث.

السلطان عثمان الثالث أخو السلطان محمود الأول

(1110هـ1171 هـ)

هو أحد سلاطين الدولة العثمانية تولى الخلافة بعد موت أخيه السلطان محمود الأول، وكان عمره وقتئذ يزيد على الثامنة والخمسين قام بقتل الصدر الأعظم علي باشا لسوء تصرفه، وعين محمد راغب باشا مكانه، فكان عونا له ويقال أن الخليفة عثمان كان يسير متنكرا في الليل، ويطلع على أحوال الرعية، ويعمل على الإصلاح توفي سنة **1171** هـــ.

مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد الثالث

(1129هـ- 1187 هـ)

أحد خلفاء الدولة العثمانية تولى الحكم من **1171** حتى **1187** هـــ بعد ابن عمه عثمان الثالث وكان عمره حينذاك **42** عاماً.

في عهده قامت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وفيها انتصرت الدولة العثمانية في بداية الحرب، ثم لقيت الدولة العثمانية بعض الهزائم، واستولت روسيا على بعض المدن العثمانية وقامت روسيا في عهده بالتحالف مع علي بك

الكبيرحاكم مصر ضد الدولة العثمانية، حيث حاربت الدولة العثمانية، وتغلبت عليها عن طريق محمد بك أبو الدهب وقامت روسيا أيضاً بتشجيع سكان الدولة العثمانية النصارى على الثورة فثار نصارى شبه جزيرة المورة وساعدهم الأسطول الروسي، ولكنه هزم وكانت وفاة السلطان مصطفى خان الثالث سنة (1187هـ) له العديد من المواقف ومنها إنشاؤه للحجر الصحي.

عبد الحميد بن أحمد بن محمد

(1137هـ - 1203هـ)

أحد خلفاء الدولة العثمانية حكم من عام **1187** هـ حتى **1203** هـ بقي محجوزاً في قصره مدة حكم أخيه مصطفى الثالث حتى تولى الحكم بعد وفاته عام **1187** هـ.

في عهده هاجمت روسيا الجيوش العثمانية عند فارنا البلغارية وهزمتها وتم الصلح بعد ذلك على استقلال تتار القرم وإقليم بساربيا ومنطقة قوبان وإعطاء السفن الروسية حرية الملاحة في البحر الأسود والمتوسط وأن تدفع الدولة العثمانية غرامة لروسيا كل سنة وإعطاء روسيا حق حماية النصارى الأرثوذكس من رعايا الدولة العثمانية وتبني كنيسة في إستانبول.

أخذت روسيا تضم أجزاء من الدولة العثمانية إليها رغم المعاهدة واستسلمت الدولة العثمانية لضعفها أعلن العثمانيون الحرب على روسيا وكانت النمسا قد تحالفت مع روسيا وانتهت تلك الحروب لمصلحة الدولة العثمانية توفي عبد الحميد الأول عام **1203**هـ وخلفه ابن أخيه وهو سليم الثالث ابن مصطفى الثالث.

السلطان سليم الثالث

(1175هـ ـ 1222هـ)

سليم الثالث بن مصطفى الثالث أحد خلفاء الدولة العثمانية تولى السلطة بعد وفاة عمه عبد الحميد الأول سنة **1203** هـ وكانت المعارك الحربية مستمرة، فأعطى وقته وجهده للقتال وحينما ضعفت الجيوش العثمانية، واتحدت الجيوش الروسية والنمساوية تمكنت روسيا من الاستيلاء على الأفلاق، والبغدان، وبساربيا، واستطاعت النمسا احتلال بلاد الصرب، ودخلت بلغراد ونتيجة لعدم استمرار التحالف النمساوي الروسي، وانصراف النمسا إلى فرنسا تنازلت النمسا عن الصرب للدولة العثمانية سنة **1205** هـ واستمرت روسيا في حربها، واستولت على بعض المدن وارتكبت جرائم كثيرة فتدخلت إنجلترا وهولندا وبروسيا للصلح بين الطرفين خوفا على مصالحها فكانت معاهدة ياسي عام **1314**هـ، وأخذت روسيا بموجبها بلاد القرم نهائياً وبعد هدوء القتال على الجبهات انصرف الخليفة للإصلاحات الداخلية فبدأ بتنظيم الجند للتخلص من الإنكشارية الذين غدوا سبب كل فتنة وفى سنة (**1213**هـ) دخلت فرنسا مصر، فتعاونت الدولة العثمانية مع إنجلترا وروسيا لإخراج فرنسا من مصر، كما صدت هجوم نابليون على الشام.

السلطان مصطفى الرابع

8**سبتمبر** 1779 ـ 15 **نوفمبر** 1808

كان سلطان الإمبراطورية العثمانية والده عبد الحميد الأول وخلال فترة حكم الإصلاحي سليم الثالث، كان مصطفى مفضلاً لدى السلطان وتولى الخلافة عام (**1222**هـ) بعد عزل ابن عمه سليم الثالث.

وعندما قامت ثورة الإنكشارية على سليم الثالث، خدع مصطفى السلطان ودعم الإنكشارية الذين خلعوا السلطان القديم، وجعلوا من مصطفى الحاكم الجديد ولكن ظل هناك تعاطف مع سليم، وفي عام **1808** إنطلق جيش بقيادة مصطفى بيرقدار إلى إسطنبول لإعادة سليم للحكم وردا على ذلك أمر مصطفى بإعدام سليم الثالث وأخ آخر له هو محمود الأمر الذي سيجعل من مصطفى الذكر الوحيد المتبقي من السلالة الحاكمة، ومنحياً بذلك أي منافس قانوني على العرش كما اعتقد وقتل سليم وألقيت جثته أمام المنشقين في مهزلة، ولكن تم الإطاحة بمصطفى واستبداله بمحمود الذي نجا من الإعدام بالاختباء وتم إعدام مصطفى في ذات العام.

تحكم فيه قادة الثورة التي أطاحت بسليم الثالث وفى عهده قتل الإنكشارية الصدر الأعظم وتآمرت فرنسا وروسيا والنمسا عليه ولكن توقفت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا لمدة سنتين قتل زعيم الثورة قباقجي أوغلي وطلب ممن تسلم الحركة بعده بإعادة سليم الثالث ولكن الخليفة مصطفى قتل هذا الزعيم وأبلغ جنوده بوفاة سليم الثالث الذى توفى قبل ذلك بأيام وقام

الجنود بعزله وحجزه مكان سليم الثالث وأقيم بعده أخوه محمود الثاني عام (1223هـ) .

السلطان محمود الثاني

(20 يوليو 1785 – 1 يوليو 1839)

كان السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، شهد عصرة خطوات إصلاح واسعة، وحاول أن يوقظ الدولة العثمانية، وأن يدفعها إلى ما تستحقه من مكانة وتقدير.

تقلد السلطان محمود الثاني مقاليد الخلافة العثمانية سنة 1808م وهو في الرابعة والعشرين من عمره، واستقر عزمه على أن يمضي في طريق الإصلاح الذي سلكه بعض أسلافه من الخلفاء العثمانيين، ورأى أن يبدأ بالإصلاح الحربي، فكلف الصدر الأعظم مصطفى البيرقدار بتنظيم الإنكشارية وإصلاح أحوالهم، وإجبارهم على اتباع التنظيمات القديمة الموضوعة منذ عهد السلطان سليمان القانوني وأُهملت شيئا فشيئا.

حاول الصدر الأعظم أن يقوم بالمهمة التي كلفه بها السلطان محمود الثاني؛ فقوبل باعتراض من الإنكشارية، وثاروا في العاصمة ثورة عارمة في رمضان 1223 هـ 1808م وحاولوا إرجاع السلطان السابق مصطفى الرابع ليكون ألعوبة في أيديهم، وأضرموا النيران في السرايا الحكومية، ومات الصدر الأعظم في هذه الفتنة محترقاً وهو يحاول أن يقضي على تلك الفتنة، واضطر السلطان أن يخضع لهم بعد أن أضرموا النار في العاصمة، وكادت النيران تقضي عليها، مؤجلاً فكرة التخلّص منهم إلى وقت آخر.

وكان السلطان يرى أن اشتداد نفوذ الإنكشارية قد حطم جهود كل من يحاول الإصلاح من السلاطين السابقين، وأن سرّ نجاح محمد علي في حركته الإصلاحية أنه بدأ بإزالة عقبة مشابهة وهي المماليك فتخلص منهم في الحادثة المعروفة باسم مذبحة القلعة، وقد تخلص السلطان محمود الثاني من الإنكشارية تماما سنة **1240** هـــ **1826**م.

وجّه السلطان محمود الثاني عنايته إلى بناء فرق عسكرية تأخذ بالنظم الحديثة؛ فأنشأ قوة من سلاح المدفعية على يد ضباط أوروبيين، وكان نجاح هذه القوة في تعلم الفنون العسكرية الحديثة حافزاً له على تنظيم قوة أخرى من المشاة على نفس الطريقة وبدأ السلطان يعمل على إيجاد رأي عام يؤيد ما يتجه إليه من إصلاحات، بإقامة الحفلات الكبرى لأي إنجاز تقوم به قواته، وباستصدار فتوى من كبار مشايخ الدولة بوجوب تعليم فنون الحرب، وضرورة إصلاح الجندية، وإدخال النظام العسكري الحديث في فرق الإنكشارية التي لا يمكنها بما هي عليه الآن الوقوف أمام الجيوش الأوروبية، وأحيا السلطان محمود الثاني ما أقامه مصطفى الثالث من مدارس للطوبجية والبحرية والهندسة، وأنشأ مدرسة حربية لتخريج الضباط على غرار المدارس الحربية الأوروبية، ومدارس لتعليم الجند وتدريبهم على نَسَق مدارس الجيش في إنجلترا.

وأخذ بنظام التجنيد الإجباري لأبناء المسلمين، وجعل مدة التجنيد عشر سنوات، وأرسل الضباط في بعثات للخارج على نطاق واسع، واستدعى عدداً من الضباط من بروسيا لتدريب القوات الجديدة ثم اتجه السلطان إلى إصلاح البحرية، فأعاد فتح مدرسة البحرية التي كان قد أنشأها السلطان مصطفى الثالث، وشرع في بناء ثكنات خاصة لرجال البحرية الذين سُموا أحيانا

بـــجنود البحر، وبنى داراً جديدة للمدرسة البحرية عُنِي بتلاميذها ومدرسيها، وزودها بالأدوات والمكتبة والأجهزة، ثم بنى مدرسة بحرية أخرى قصرها على الطلاب المتفوقين من المدرسة القديمة.

أنشأ السلطان عدداً من الترسانات البحرية في عدد من الثغور، وهي تعد من أهم إصلاحات محمود الثاني، وأعاد فتح مدرسة الهندسة البحرية التي كانت قد أنشئت قبل سنة **1208** هـــ **1793**م، وكلما انتهى العمل في بناء قطعة بحرية أُنزلت للبحر في احتفال عظيم، وكان السلطان يُسرّ لإنشاء السفن الجديدة سروراً عظيماً ويخلع على طاقمها هباته وهداياه.

عُنِي محمود الثاني بتنظيم التعليم حيث أنشأ المدارس الابتدائية المسماة صبيان مكتبي لتعليم الهجاء التركي وقراءة القرآن، ومبادئ اللغة العربية، والمدارس الثانوية مكتب رشدية لتعليم الرياضيات والتاريخ والجغرافيا، إلى جانب المدارس الملحقة بالمساجد، كما أنشئت مدارس تُعِدّ طلابها للالتحاق بمدارس البحرية والطب والزراعة والهندسة والمدفعية، وكانت المدرسة الإعدادية لمدرسة الطب ملحقة بها.

واعتنى محمود الثاني بمدرسة تعليم اللغات التي أنشئت في عصر السلطان محمود الرابع لتخريج المترجمين، وكان يلتحق خريجوا هذه المدارس بالسفارات المختلفة أكثر محمود الثاني من إرسال البعثات العلمية إلى لندن وباريس لتحصيل الفنون والعلوم الحديثة، وكلف سفيره في باريس أحمد باشا بمرافقتهم وكتابة تقارير عنهم.

حاول السلطان إصلاح أجهزة الدولة المركزية بالطريقة الأوروبية الصليبية، فوضع الأوقاف تحت إشرافه وألغى الأوقاف الصغيرة وضمها إلى أملاك السلطان، وأجرى أول إحصاء للأراضي الزراعية التركية في العصر الحديث، وأدخل تحسينات على شبكة المواصلات، وأنشأ طرقاً جديدة وأدخل البرق، وخطوط السكك الحديدية، كما أنشأ جريدة رسمية للدولة.

وشهد عصر السلطان محمود نشاطاً في حركة التعمير، وصيانة المرافق القديمة التي أصابها الإهمال، فأنشأ سنة **1241** هـ **1825**م جامع نصرت أي جامع النصر في إستانبول، وأعاد تعمير مسجد آيا صوفيا وغيره من مساجد العاصمة وامتاز السلطان محمود الثاني بالتوجه للغرب العلماني، وأنهكته الحروب مع روسيا، وشغلته حروبه مع محمد علي والي مصر الطموح الذي تطلع إلى ضم بلاد الشام لولايته في مصر، ووقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي سنة **1245** هـ **1830**م.

تعرض السلطان للإصابة بمرض السل، ولما اشتد به المرض نُقل إلى إحدى ضواحي إستانبول للاستشفاء بهوائها النقي، ثم لم يلبث أن عاجلته المنية في **19** ربيع الآخر **1255** هـ **2** يوليو **1839**م وخلفه السلطان عبد المجيد.

الفصل الخامس

دور الانحلال

(1828– 1908)

ويضم كل من السلاطين :– عبد المجيد الأول – عبد العزيز الأول – مراد الخامس – عبد الحميد الثاني.

عبد المجيد الأول

(1823 - 1861)

السلطان رقم 31 في الدولة العثمانية وهو أول خليفة عثماني يرعى مسيرة التغريب تحت شعار الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية، حيث استحدث الباب العالي (رئاسة مجلس الوزراء) الذي أصبح يتولى مقاليد السلطة، ويقاسم السلطان نفوذه،في حكم الدولة، بينما أصبحت مشيخة الإسلام

مجرد هيئة شورية وهو والد السلطان عبد الحميد الثاني.

السلطان عبد العزيز الأول

(1245هـ- 1293هـ)

هو عبد العزيز بن الخليفة محمود بن عبد الحميد أحد خلفاء الدولة العثمانية حكم من 1277هـ حتى عزل عام 1293هـ تولى الخلافة أواخر عام 1277هـ بعد وفاة أخيه عبد المجيد، وفي عهده قامت ثورة كريت وأخمدت عام 1283 هـ، وتم فتح قناة السويس عام 1285 هـ، كما صدرت مجلة الأحكام العدلية عام 1285 هـ وصدر قانون التجارة البحرية عام 1279 هـ وقد كان السلطان عبد العزيز عظيم الجسم حتى كان يقال عنه إذا أتاه خبر سيء يصفع من يأتيه بهذا الخبرصفعة قوية يعاد منها الرجل لأيام حتى ابتكر الوزراء طريقة للابتعاد عن شر هذه الصفعة وذلك أنهم يخبرونه الخبر السيء وهو يأكل فيأمر بإحضار الماء البارد للغسيل فينطفئ غضبه وقيل أنهم عندما أرادوا اغتياله أرسلو له أربعة مصارعين فأتوه في الحريم السلطاني وهو نائم فبركوا عليه فنهض عليهم وما استطاعوا قتله حتى قام أحدهم بأخذ مقص كان بالقرب منه فقطع عروق السلطان فتمكنوا منه.

حصرت ولاية مصر في أبناء إسماعيل باشا الذى حصل على لقب خديوى أى نائب سلطان، ورأى الخليفة عبد العزيز طمع أوروبا في الدولة العثمانية ففكر في استغلال اختلاف دول أوروبا على مصالحها الخاصة في صالح الدولة العثمانية فأكثر من دعوة السفير الروسى في إستانبول ليدفع دول أوروبا الغربية إلى تقديم تنازلات للدولة العثمانية، ولكنها أخذت تشيع عنه التبذير والإسراف

فتولى رئيس مجلس الشورى أحمد مدحت باشا فكرة عزله فعزل عام 1293هـ ، ثم قتله بعد ذلك وأشاعوا أنه انتحر تولى بعده مراد الخامس ابن أخيه عبد المجيد.

مراد بن الخليفة عبد المجيد بن محمود

ولد 25 رجب 1256 هـ أحد خلفاء الدولة العثمانية. تولى الخلافة بعد عزل عمه عبد العزيز وكان عمره سبعا وثلاثين سنة بويع بالخلافة في 7 جمادى الأولى وعزل بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام في 10 شعبان من العام نفسه 1293 هـ بويع بعده أخوه عبد الحميد الثاني وأشيع أن العزل كان لاختلال عقل مراد الخامس

السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد

السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، وآخر من أمتلك سلطة فعلية منهم ولد في 21 سبتمبر 1842م، وتولى الحكم عام 1876م أبعد عن العرش عام 1909م بتهمة الرجعية،وأقام تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته في 10 فبراير 1918م وتلقى السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد تعليمه بالقصر السلطاني وأتقن من اللغات: الفارسية والعربية وكذلك درس التاريخ والأدب.

أظهر السلطان روحا إصلاحية وعهد بمنصب الصدر الأعظم إلى مدحت باشا أحد زعماء الإصلاح فأمر بإعلان الدستور وبداية العمل به، وقد كان

الدستور مقتبسا عن دساتير دول أوربية مثل: بلجيكا وفرنسا وغيرها وضم الدستور 119 مادة تضمنت حقوق يتمتع بها السلطان كأي ملك دستوري، كما نص الدستور على تشكيل مجلس نواب منتخب دعي بهيئة المبعوثين.

يعرفه البعض، بـــأولو خاقان أي الملك العظيم وعرف في الغرب باسم السلطان الأحمر، و القاتل الكبير بسبب مذابح الأرمن المزعوم وقوعها في فترة توليه منصبه، رحب جزء من الشعب العثماني بالعوده إلى الحكم الدستوري بعد إبعاد السلطان عبد الحميد عن العرش في اعقاب ثورة الشباب التركي غير أن الكثير من المسلمين ما زالوا يقدّرون قيمة هذا السلطان الذي خسر عرشه في سبيل أرض فلسطين التي رفض بيعها لزعماء الحركة الصهيونية.

عبد الحميد هو ابن السلطان عبد المجيد الأول، وأمه اسمها تيرمشكان الشركسية الأصل توفيت عن 33 عاما، ولم يتجاوز ابنها عشر سنوات، فعهد بعبد الحميد إلى زوجة أبيه بيرستو قادين التي اعتنت بتربيته ، وأولته محبتها ؛ لذا منحها عند صعوده للعرش لقب السلطانة الوالدة.

توفي والده وعمره 18 عاماً، وصار ولي عهد ثان لعمه عبد العزيز الأول، الذي تبع نهج أخيه في مسيرة التغريب والتحديث، واستمر في الخلافة 15 عاماً قبل توليه العرش بتسع سنوات رافق عمه السلطان عبد العزيز الأول في زيارته إلى النمسا وفرنسا وإنجلترا في 1867 و في بعض سياحاته ورحلاته إلى أوروبا ومصر.

التقى عبد الحميد في خلافة عمه بعدد من ملوك العالم الذين زاروا إستانبول وعُرف عنه مزاولة الرياضة وركوب الخيل والمحافظة على العبادات والشعائر

الإسلامية والبعد عن المسكرات والميل إلى العزلة، وكان والده يصفه بالشكاك الصامت.

كان عبد الحميد نجاراً ماهراً، وكان يملك مشغلاً صغيراً في حديقة قصره في إستانبول وكانت له اهتمامات مختلفة من بينها هواية التصوير وكان مهتما بالأوبرا وكتب شخصياً لأول مرة على الإطلاق العديد من الترجمات التركية للأوبرا الكلاسيكية كما أنه ألف عدة قطع أوبراليه استضاف المؤدين الشهيرين من أوروبا في دار الأوبرا وكان لديه هواية التصوير وقام بتصوير كل أنحاء إستانبول وجمعها في ألبوم يتكون من 12 مجلد، والألبوم محفوظ حالياً في مكتبة الكونجرس في واشنطن في القسم التركي وكان يملك مكتباً للترجمة يعمل فيه 6 مترجمين وكان يعطي أجراً إضافياً لترجمة الروايات البوليسية.

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة، في 11 شعبان 1293هـ، الموافق 31 أغسطس 1876م، وكانت السلطنة يومئذ فى أسوأ حال، حيث كانت الدولة في منتهى السوء والاضطراب، سواء في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية وفي نفس السنة دخلت الدولة العثمانية في أزمة مالية خانقة في فترة السلطان عبد العزيز المبذر ونجح العثمانيون الجدد فى الإطاحه بحكمه سنة 1876م، في مؤامرة دبرها بعض رجال القصر، واعتلى العرش من بعده مراد الخامس شقيق عبد الحميد، ليكون السلطان الجديد، إلا انه عُزل بعد مدة حوالي ثلاثة أشهر، فتولى عبد الحميد الحكم من بعده الذي وافق مع العثمانيين الجدد على إتباع سياسة عثمانية متحررة.

أتفقت الدول الغربية على الإجهاز على الدولة العثمانية التي أسموها تركة الرجل المريض، ومن ثم تقاسم أجزائها، هذا بالإضافة إلى تمرد البوسنة

والهرسك، الذين هزموا الجيش العثماني وحاصروه في الجبل الأسود، وإعلان الصرب الحرب على الدولة بقوات منظمة وخطرة، وانفجار الحرب الروسية الفظيعة التي قامت سنة 1294هـ، الموافق سنة 1877م، وضغط دول الغرب المسيحية على الدولة لإعلان الدستور وتحقيق الإصلاحات في البلاد، بالإضافة إلى قيام الثورات في بلغاريا بتحريض ومساعدة من روسيا والنمسا.

أفلست خزينة الدولة وتراكمت الديون عليها، حيث بلغت الديون ما يقرب من ثلاثمائة مليون ليرة، كما ظهر التعصب والدعوات القومية والجمعيات ذات الأهداف السياسية، بإيحاء من الدول الغربية المعادية، لاسيما إنجلترا، وكانت أهم مراكز هذه الجمعيات في بيروت واستانبول، وقد كان للمسيحية دور كبير في إذكاء تلك الجمعيات التي أنشئت في بيروت التي كان من مؤسسيها بطرس البستاني 1819م–1883م وناصيف اليازجي 1800–1817 أما الجمعيات التي أنشئت في استانبول فقد ضمت مختلف العناصر والفئات، وكان لليهود فيها دور كبير، خاصة يهود الدَوْنَمة، ومن أشهر هذه الجمعيات جمعية تركيا الفتاة التي أُسست في باريس، وكان لها فروع في برلين وسلانيك واستانبول، وكانت برئاسة أحمد رضا بك، الذي فتن بأوروبا وبأفكار الثورة الفرنسية وقد كانت هذه الجمعيات تُدار بأيدي الماسونية العالمية ومن الأمور السيئة في الأوضاع الداخلية أيضاً، وجود رجال كان لهم دور خطير في الدولة فُتنوا بالتطور الحادث في أوروبا وأفكارها، وكانوا بعيدين عن معرفة الإسلام، ويتهمون الخلفاء بالحكم المطلق، الدكتاتوري ويطالبون بوضع دستور للدولة على نمط الدول الأوروبية المسيحية، ويرفضون العمل بالشريعة الإسلامية.

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، دعا سعيد النورسي وهو كردي من قرية نورشين وأحد قادة الطرق الدينية البارزين وغيره إلى إصلاحات دستورية وتعليمية من بينها تقيد سلطات السلطان عبد الحميد الثاني وهو ما سمى بالمشروطية، وإنشاء جامعة في مدينة فان التركية للنهضة العلمية، ولما رفض السلطان عبد الحميد هذه الطلبات، دعم قادة الطرق الدينية التركية جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تريد إصلاحات سياسية واجتماعية وكانت تعارض السلطان عبد الحميد فدبرت الجمعية عام**1908** انقلاباً على السلطان تحت شعار (حرية، عدالة، مساواة). وتعهد الإنقلابيون بوضع حد للتمييز في الحقوق والواجبات بين السكان على أساس الدين والعرق.

وسط هذه التيارات والأمواج المتلاطمة تقلد السلطان عبد الحميد الحكم، وبدأ في العمل وفق السياسة الآتية:

- حاول كسب بعض المناوئين له واستمالتهم إلى صفه بكل ما يستطيع.
- دعا جميع مسلمي العالم في آسيا الوسطى وفي الهند والصين وأواسط أفريقيا وغيرها إلى الوحدة الإسلامية والانضواء تحت لواء الجامعة الإسلامية، ونشر شعاره المعروف يا مسلمي العالم اتحدوا، وأنشأ مدرسة للدعاة المسلمين سرعان ما أنتشر خريجوها في كل أطراف العالم الإسلامي الذي لقي منه السلطان كل قبول وتعاطف وتأييد لتلك الدعوة، ولكن قوى الغرب قامت لمناهضة تلك الدعوة ومهاجمتها.
- قرّب إليه الكثير من رجال العلم والسياسة المسلمين واستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم.

- عمل على تنظيم المحاكم والعمل في مجلة الأحكام العدلية وفق الشريعة الإسلامية.
- قام ببعض الإصلاحات العظيمة مثل القضاء على معظم الإقطاعات الكبيرة المنتشرة في كثير من أجزاء الدولة، وعمل على القضاء على الرشوة وفساد الإدارة.
- عامل الأقليات والأجناس غير التركية معاملة خاصة،كي تضعف فكرة العصبية،وغض طرفه عن بعض إساءاتهم، مثل الرعب الذي نشرته عصابات الأرمن، ومثل محاولة الأرمن مع اليهود اغتياله أثناء خروجه لصلاة الجمعة، وذلك لكي لا يترك أي ثغرة تنفذ منها الدول الأجنبية للتدخل في شؤون الدولة.
- عمل على سياسة الإيقاع بين القوى العالمية آنذاك لكي تشتبك فيما بينها، وتسلم الدولة من شرورها، ولهذا حبس الأسطول العثماني في الخليج ولم يخرجه حتى للتدريب.
- اهتم بتدريب الجيش وتقوية مركز الخلافة.
- حرص على إتمام مشروع خط السكة الحديدية الذي يربط بين دمشق والمدينة المنورة لِمَا كان يراه من أن هذا المشروع فيه تقوية للرابطة بين المسلمين، تلك الرابطة التي تمثل صخرة صلبة تتحطم عليها كل الخيانات والخدع الإنجليزية، على حد تعبير السلطان نفسه.
- أنشئ قصر النجمة بأمره ويوجد في متحف قصر النجمة في القصر منجرة مخصصة لتأمين الموبيليا للقصر، لأن السلطان عبد الحميد الثاني يحب النجارة ومعروف بالحفر اليدوي وأعطى اهتمام لهذا الموضوع. وكل الأثار المعروضة في المتحف هي أغراض القصر نفسه.

- تم إنشاء مسرح قصر النجمة بأمر السلطان عبد الحميد الثاني عام 1889وبعد الإصلاحات الضرورية تم افتتاح المتحف كمتحف للفنون والمسرح ويوجد قسم من المتحف خاص بالملابس التي أستخدمت في المسرح نفسه.

مذابح الأرمن

بدأت قضية مذابح الأرمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، إذ قالت الدولة العثمانية أن روسيا قامت بإثارة الأرمن الروس القاطنين قرب الحدود الروسية العثمانية، فبدأت بتحريضهم ومدهم بالمال والسلاح وتدريبهم في أراضيها وتشكيل الجمعيات المسلحة من أمثال خنجاق وطشناق وقدمت بريطانيا دعماً قوياً لتلك المنظمات لأنها كانت تريد تفتيت الدولة العثمانية حتى أن الزعيم المصري مصطفى كامل يقول في كتابه المسألة الشرقية فالذين ماتوا من الأرمن في الحوادث الأرمنية إنما ماتوا فريسة الدسائس الإنجليزية.

وكان قبول الدولة العثمانية إقامة دولة أرمنية في مركزها (في الولايات الستة في شرقي الأناضول) وفي مناطق يشكل المسلمون فيها الأكثرية بمثابة عملية انتحارية للدولة العثمانية إذ كان عدد الأرمن حسب الإحصائيات العثمانية والأجنبية كذلك يتراوح بين مليون ومئتي ألف إلى مليون ونصف مليون في جميع أراضي الدولة العثمانية لذا لم يعبأ السلطان بالضغوط الخارجية ولا بتهديد انجلترا وقيامها بإرسال أسطولها إلى جنق قلعة وحاولت تلك

المنظمات المسلحة اغتيال السلطان عام 1905 بتفجير عربة عند خروجه من المسجد ولكن السلطان نجا، وألقي القبض على الجاني، ولكن السلطان عفا عنه.

لما عقد اليهود مؤتمرهم الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام 1315هـ، 1897م، برئاسة تيودور هرتزل 1860م–1904م رئيس الجمعية الصهيونية، اتفقوا على تأسيس وطن قومي لهم يكون مقرًا لأبناء عقيدتهم، وأصر هرتزل على أن تكون فلسطين هي الوطن القومي لهم، فنشأت فكرة الصهيونية، وقد اتصل هرتزل بالسلطان عبد الحميد مرارًا ليسمح لليهود بالانتقال إلى فلسطين، ولكن السلطان كان يرفض، ثم قام هرتزل بتوسيط كثير من أصدقائه الأجانب الذين كانت لهم صلة بالسلطان أو ببعض أصحاب النفوذ في الدولة، كما قام بتوسيط بعض الزعماء العثمانيين، لكنه لم يفلح، وأخيرًا زار السلطان عبد الحميد بصحبة الحاخام موسى ليفي وعمانيول قره صو، رئيس الجالية اليهودية في سلانيك، وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع، أفصحوا عن مطالبهم، وقدّموا له الإغراءات المتمثلة في إقراض الخزينة العثمانية أموالاً طائلة مع تقديم هدية خاصة للسلطان مقدارها خمسة ملايين ليرة ذهبية، وتحالف سياسي يُوقفون بموجبه حملات الدعاية السيئة التي ذاعت ضده في صحف أوروبا وأمريكا لكن السلطان رفض بشدة وطردهم من مجلسه وقال: (إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكى إنما هي ملك الأمة الإسلامية، وما حصل عليه المسلمون بدمائهم لا يمكن أن يباع وربما إذا تفتت إمبراطوريتى يوماً، يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين دون مقابل)، ثم أصدر أمرًا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

عندئذ أدرك خصومه أنهم أمام رجل قوي وعنيد، وأنه ليس من السهولة بمكان استمالته إلى صفها، ولا إغراؤه بالمال، وأنه مادام على عرش الخلافة فإنه لا يمكن للصهيونية العالمية أن تحقق أطماعها في فلسطين، ولن يمكن للدولة الأوروبية أن تحقق أطماعها أيضاً في تقسيم الدولة العثمانية والسيطرة على أملاكها، وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان.

لذا قرروا ان يقتلوا الامير خضر العموري من سكان شعفاط ومن ثم الإطاحة به وإبعاده عن الحكم، فاستعانوا بالقوى المختلفة التي نذرت نفسها لتمزيق ديار الإسلام، أهمها الماسونية، والدونمة، والجمعيات السرية الاتحاد والترقي، وحركة القومية العربية، والدعوة للقومية التركية الطورانية، ولعب يهود الدونمة دورًا رئيسًا في إشعال نار الفتن ضد السلطان ويؤكد الباحث جمال الدين فالح الكيلاني في مقالته في مجلة فكر حر البغدادية أن من اشد المؤازرين للسلطان في موقفه ضد اليهود كان الشيخ السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب نقيب أشراف بغداد شيخ الطريقة القادرية في العالم الإسلامي ورئيس أول حكومة عراقية في العصر الحديث وتم عزل السلطان وخلعه من منصبه عام 1909 وتم تنصيب شقيقه محمد رشاد خلفاً له.

وتوفي السلطان عبد الحميد الثاني في المنفى في 10 فبراير من عام

1918م.

الفصل السادس

النهاية

وتضم كل من محمد الخامس – محمد السادس – عبد المجيد الثاني

محمد الخامس

محمد رشاد بن الخليفة عبد المجيد الأول (ولد في 2 نوفمبر 1844 – 3 يوليو 1918) هو أحد خلفاء الدولة العثمانية تولى الحكم بعد خلع أخيه عبد الحميد الثاني عام 1909 وكان عمره 68 عاماً.

في عهده حصل الاتحاديون على نصر ساحق في الانتخابات النيابية عام 1330 هـــ وبدأت الحرب الإيطالية الليبية وحاولت إيطاليا احتلال ليبيا ونجحت في ذلك، ودارت حرب البلقان وهزمت الدولة العثمانية ، وتمكن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من إحكام قبضتهم على السلطة، وقامت الحرب العالمية الأولى وانضمت الدولة العثمانية إلى ألمانيا لأنها لم يكن لها أطماع ظاهرة في الدولة العثمانية وهزمت الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا في الحرب، وبدأت

فكرة القومية تنمو تحت رعاية رجال الاتحاد والترقي في عهده محاربة للرابطة الدينية توفي قبل استسلام الدولة بعدة شهور .

محمد السادس العثماني

(1861 - 1926)

وحيد الدين محمد بن الخليفة عبد المجيد (**14** يناير **1861** – **16** مايو **1926**) أحد خلفاء الدولة العثمانية وآخر السلاطين العثمانيين حكم فى الفترة من **4** يوليو **1918** إلى **1** نوفمبر **1922** بعد وفاه أخيه محمد الخامس رشاد وانتحار ولي العهد الذي هو ابن عبد العزيز الأول (عم محمد وحيد الدين).

استسلمت الدولة بعد توليته بشهور حيث هزمت في الحرب واحتل أعداؤها أكثر أجزاء الدولة باستثناء بعض المناطق وضع ثقته في مصطفى كمال أتاتورك للخروج من الأزمة فخاب ظنه، وبدأ مصطفى كمال يعمل لنفسه وبدأ نجمه يلمع، ونتيجة ذلك اعتزل الخليفة السلطة وتنازل عن السلطنة والخلافة عام **1922**وغادر إسطنبول على متن بارجة بريطانية في **17** نوفمبر عام **1922** ليقضي بقية حياته في الريفييرا الإيطالية وتوفي في مدينة سان ريمو في **16** مايو **1926**.

عبد المجيد بن عبد العزيز

(عبد المجيد الثاني)

(1868 - 1944)

كان الخليفة العثماني الأخير تولى الخلافة من 19 نوفمبر، 1922 حتى 3 مارس، 1924 ولد عبد المجيد الثاني، ابن السلطان عبد العزيز الأول، في 29 مايو،1868 في إسطنبول تلقى تعليمه بشكل خاص وفي 4 يوليو 1918 أصبح ابن عمه محمد السادس سلطاناً، بينما أصبح عبد المجيد الثاني ولي العهد في 19 نوفمبر، 1922، انتخب عبد المجيد الثاني للخلافة بواسطة الجمعية الوطنية التركية في أنقرة استقر في اسطنبول في 24 نوفمبر من نفس العام وفي 3 مارس، 1924 خلع وطرد من شواطئ تركيا مع بقية عائلته وهو آخر خليفة للمسلمين أعطي لقب جنرال الجيش العثماني، وعمل كرئيس مجمع الفن العثماني.

تزوج أربعة مرات في أعوام 1896، 1902، 1912، 1921 وتوفي في 23 أغسطس، 1944 في بيته في باريس ودفن في المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

أهم المصادر والمراجع

1. تاريخ الحكام – السلالات الحاكمة – العثمانيون .
2. إسلام أون لاين.
3. الدولة العثمانية– أسباب السقوط وعوامل النهوض – علي محمد الصلابي.
4. الدولة العثمانية العليا – محمد فريد بك المحامي .
5. موسوعة الحضارة .
6. حركة الإصلاح العثماني – محمد عبد اللطيف البحراوي.
7. تاريخ الدولة العلية العثمانية–محمد زيد بك.
8. تاريخ الدولة العثمانية–علي حسون .
9. الدولة العثمانية – محمد حرب .
10. الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية.
11. نظرية الخلافة الإسلامية – د.محمد عمارة .
12. مذكرات تشرشل.
13. العرب والعثمانيون – د.عبد الكريم رافق .
14. يقظة الإسلام في تركيا – أنور الجندي .
15. الصهيونية والإسلام – أنور الجندي .
16. إسرائيل الكبرى – مركز الأبحاث الفلسطيني.
17. مذكرات مصطفى كمال – بيروت.
18. واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم – أبو الأعلى المودودي.

19. المذكرات السياسية للسلطان عبد الحميد الثاني .
20. مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني – ترجمة محمد حرب عبد الحميد .
21. صحوة الرجل المريض ومشروع الجامعة الإسلامية – موفق بني المرجة.
22. تاريخ الحكّام والسلالات الحاكمة.
23. حركة الإصلاح العثماني– محمد عبد اللطيف البحراوي .
24. تاريخ الدولة العلية العثمانية– محمد زيد بك .
25. دراسة لتاريخ سقوط ثلاثين دولة أسلامية– دكتور عبد الحليم عويس.
26. مختصر التاريخ العثماني الأول. د. محمود الدغيم .

الفهرست